كيف تحقق
غنى النفس وسعة الرزق

بقلم

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين





بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

رقم الإيداع
١٦٨٨٦ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولي
977-5191-069-6

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١].

وبعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، حب الدنيا رأس كل خطيئة والمال فيها داء كبير ، ومن شر ما يُبتلى به العبد حرص فاجع ، وشح هالع ، مما جعل الناس يسفكون دماءهم ، ويقطعون أرحامهم ، ويتركون طاعة ربهم ، وقد صارت المادية صبغة الحياة المعاصرة ، مما جعل الكثرة لا تبالي بما حرم الله في سبيل مجاراة العرف وتلبية مطالب النفس والأهل والولد ، فهذا يغش ويزني ويسرق ويرابي ويرتشي ، والثاني لا مانع عنده من بيع الخمر والعمل في ملهى ومرقص ليلي ، والثالث لا يجد سبيلاً إلا السفر لأمريكا وكندا ... فيبيع الخنزير ويقدم الخمر وقد يوالي الكفار على كفرهم ،أي أنه يجعل دينه قرباناً ومطية لدنياه ، والرابع لا مانع عنده من العمل بالنفاق والخداع والسياسات

الميكافيلية لنيل المناصب والرتب ، فالحلال عنده ما وقع في يده ، والحرام ما تباعد عنه ، والخامس ، يواصل الليل بالنهار للنجاح في الامتحان أو للعمل والكسب ، حتى وإن أداه ذلك لترك الصلاة وغيرها من معاني الدين ... وهذا وذاك له تبريرات وتأويلات ، وقديماً قالوا : ما عُصي الله إلا بالتأويل ، فما يحدث تقديم للدنيا على الدين وبيع للآخرة بثمن بخس دراهم معدودة ، بل قل : مثل هذا يبيع دينه ودنياه في آن واحد ، فهي لذة ساعة - إن حدثت - وألم دهر .

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ
فطوبى لعبداً آثر الله ربه
وجاد بدنياه لما يتوقعُ

بل صار البعض يُقنن ويضرب الأمثال لهذا الضياع

والحضيض ، الذي وصلنا إليه مثال قولهم : « عَيبُ الرجل جيبه – ساعة لقلبك وساعة لربك – ارشوا تشفوا – الحياء في الرجال يورث الفقر ...!! » لقد صرنا نحرص على ما ندمر به دنيانا وأخرانا ، كمن يحرص على اقتناء حية تلدغه وتميته ، والأمر أخطر وأشد إذا ما ضاع الدين ، أو حالت الدنيا بزخرفها وزينتها دون طاعة الله .

فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لهما من حِرص المرء على المال والشرف لدينه**] (١) .

والشرف هنا بمعنى الجاه والرياسة ، فالحرص على المال والجاه يُفسد الدين ويضيعه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله : قال الجُنيد : لا يكون العبد عبداً حتى يكون مما سوى الله تعالى حراً ، وهذا مطابق لحديث : [**تعس عبد الدينار**] (٢) ، فإنه لا

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .
(٢) رواه البخاري .

يكون عبداً لله خالصاً مخلصاً دينه لله كله حتى لا يكون عبداً لما سواه ، ولا فيه شعبة ولا أدنى جزء من عبودية ما سوى الله ، فإذا كان يرضيه ويسخطه غير الله فهو عبد لذلك الغير ، ففيه من الشرك بقدر محبته وعبادته لذلك الغير زيادة .

قال الفُضيل بن عياض : والله ما صدق الله في عبوديته من لأحد من المخلوقين عليه ربانية .

وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

أرباً واحـــــــداً أم ألـف رب

أدين إذا انقـســمت الأمــور ؟

روى الإمام أحمد والترمذي والطبراني من حديث أسماء بنت عميس قالت : قال رسول الله ﷺ : [**بئس العبد عبد تخيّل واختال ، ونسى الكبير المتعال ، بئس العبد عبد تجر واعتدى ونسى الجبار الأعلى ، بئس العبد عبد سهى ولهى ونسى المقابر والبلى ، بئس العبد عبد**

بغى واعتدى ونسى المبدأ والمنتهى ، بئس العبد عبد يختل[1] الدنيا بالدين ، بئس العبد عبد يختل [2] الدين بالشبهات ، بئس العبد عبد رغب [3] يُذله ويزيله عن الحق ، بئس العبد عبد طمع يقوده ، بئس العبد عبد هوى يضله] .

قال الترمذي غريب ، وفي الحديث الصحيح المتقدم ما يقويه والله أعلم ، وكذلك أحاديث وآثار كثيرة رويت في معنى ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وطالب الرئاسة – ولو بالباطل – ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه ، وإن كانت باطلاً ، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمه وإن كانت حقاً ، والمؤمن ترضيه كلمة الحق له وعليه

(١) يطلب ويصطاد .
(٢) تخدع .
(٣) مرغوب مطلوب .

وتغضبه كلمة الباطل له وعليه لأن الله تعالى يحب الحق والصدق والعدل ويبغض الكذب والظلم أ . هـ .

أقل شيء في الدنيا يكفيك ، وإن أردت سعة الرزق فاعلم أن الأمر لا يحتمل هجران الدين وترك الطاعة ، وإضاعة النفس ، فمن أراد الدنيا فعليه بطاعة الله ، ومن أراد الآخرة أيضاً عليه بطاعة الله ، وفي الحديث : [**ليس الغنى عن كثرة العرَض ، ولكن الغنى غنى النفس**] [١] .

ولتحقيق غنى النفس وسعة الرزق ، كانت هذه الرسالة المختصرة فتدبرها،والله يهدي من يشاء إلى صراط المستقيم .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

بقلم
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

(١) متفق عليه ، ومعنى العرَض : أي المال .

بعض أسباب سعة الرزق

أولاً : تقوى الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٤] ، أي من يتقه في امتثال أوامره واجتناب نواهيه يسهل عليه أمره في الدنيا والآخرة ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] ،وهى حياة الرضى والقناعة .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢-٣] ، أي من يتق عذاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والوقوف على حدوده التي حدها لعباده وعدم مجاوزتها يجعل له مخرجاً مما وقع فيه من الشدائد والمحن ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ ، أي من وجه لا يخطر بباله ولا يكون في

حسابه ، قال أبو العالية : مخرجاً من كل شيء ضاق على الناس ، وورد عن ابن عباس قال : ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة [١] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : نزلت هذه الآية ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ ، في رجل من أشجع كان فقيراً ضعيف ذات اليد كثير العيال ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : اتق الله واصبر ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابن له بغنم كان العدو أصابوه ، فأتى رسول الله ﷺ ، فسأله عنها وأخبره خبرها ، فقال : كُلها ، فنزلت : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ [٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أُمه ، فما تأمرني ؟ قال : آمرك وإياها

---

(١) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم .
(٢) صححه الحاكم وضعفه الذهبي .

أن تستكثرا من قول لا حـول ولا قوة إلا بالله، فقالت المرأة: نعم ما أمرك ، فجعـلا يكثران منها ، فتغفـل عنه العـدو ، فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه ، فنزلـت ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ۝٢ ﴾ [١] قال الشوكاني : وفي الباب روايات تشهد لهذا ، وعن عائشة رضي الله عنها في الآية قالت : يكفيه همّ الدنيا وغمها [٢] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : [**جعل رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ فجعل يرددها حتى نعست ، ثم قال : يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم**] [٣] ، وكتب رجل إلى أخ له يقول : أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادخرت ،

(١) أخرجه ابن مردويه .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم .
(٣) أخرجه أحمد وصححه والبيهقي وابن مردويه وأبو نعيم .

أعاننا الله وإياك عليها وأوجب لنا ولك ثوابها . وكتب آخر يقول : أوصيك وأنفسنا بالتقوى ، فإنها خير زاد الآخرة والأولى ، واجعلها إلى كل خير سبيلك ، ومن كل شر مهربك ، فقد تكفل الله عز وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون والرزق من حيث لا يحتسبون .

وقال رجل ليونس بن عبيد : أوصني فقال : أوصيك بتقوى الله والإحسان ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (٩٦) ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

والتقوى هى الإيمان والهدى والبر والعلم النافع والعمل الصالح، وأساسها أن يعلم العبد ما يُتقى ثم يتقى، وأصل التقوى العمل بالواجبات وترك المحرمات، فإذا التزم

العبد المستحبات وترك المكروهات فقد تمت تقواه لله تعالى .

والتقوى أيضاً كما قال طلق بن حبيب : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله . وعن أبي الدرداء قال : تمام التقوى أن يتقي اللهَ العبدُ حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً يكون حجاباً بينه وبين الحرام .

فلا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس ، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، وقد ورد في الحديث : [**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن**] (١) .

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

ثانياً : شكر الله تعالى :

قال تعالى :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) ﴾ [إبراهيم : ٧] ، فعلق سبحانه المزيد بالشكر ، والمزيد منه لا نهاية له ، كما لا نهاية لشكره ، وقد أطلق سبحانه جزاء الشكر فقال : ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥] ، وقال : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] .

قال عمر بن عبد العزيز : قيدوا نعم الله بشكر الله ، فالشكر قيد النعم ، وسبب المزيد .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لرجل من همذان : إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر يتعلق بالمزيد ، وهما مقرونان في قرن ، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد [(١)] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا .

وعن سفيان في قوله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾[القلم : ٤٤] ، قال : يسبغ عليهم النعم ويمنعهم الشكر ، وقال البعض : كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة .

واعلم أن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر ، والشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح وهو يدور على الاعتراف بالنعمة والإقرار بها بقلبه ، والتحدث بها ظاهراً ، والاستعانة بها على طاعة الله ، فإذا حدثت نعمة أو اندفعت نقمة ، فاسجد لله تعالى شاكراً ، ومن قال : الحمد لله فقد أبلغ .

قال الحسن : ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله . إلا كان ما أعطى أكثر مما أخذ وإذا وجدت ما تحب فقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وإذا وجدت ما تكره فقل : الحمد لله على كل حال .

ثالثاً : بر الوالدين وصلة الأرحام :

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره**] (١) ، وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**لا يُرد القضاء إلا بالدعاء ولا يزيد العمر إلا بالبر**] (٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**من سره أن يُمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه**] (٣) .

وقد ذكر البعض : أن بر الوالدين شكر لله تعالى لأنه سبحانه قال : ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ ، فإذا برهما فقد شكرهما ، ومن شكرهما فقد شكر الله ، والشكر من العبد سبب المزيد من الله ، وذلك لقوله تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وأبو يعلى والطبراني والحاكم .
(٢) أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب .
(٣) رواه أحمد والبيهقي بسند رجاله رجال الصحيح وأصله في الصحيحين .

﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** (٧) ﴾ [إبراهيم : ٧] ، ولن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد .

والزيادة الواردة في النصوص « **ويُزاد في رزقه** » هى على حقيقتها ، وذلك بالنسبة لعلم الملك الموكل بالعمر والرزق ، وقيل : هى كناية عن البركة أو بقاء الذكر الجميل ، وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم .

فاحرص على بر الوالدين وصلة الأرحام ، فما بعد البر إلا التقوى ، وأدناه اظهار الضيق والضجر والرحم موصلة بالعرش تقول : من وصلني وصلته ، ومن قطعني قطعته ، واعلم أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه ، وليس من الإحسان ولا من المصاحبة بالمعروف أن يموت الوالدان جوعاً والولد موسر ، قال تعالى :﴿ **وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ [لقمان : ١٥] ، وقال :﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ**

إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : إن لي مالاً وإن والدي يحتاج إلى مالي ؟ قال : [**أنت ومالك لوالدك ، إن أولادكم من أطيب كسبكم ، كلوا من كسب أولادكم**] [١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**لا يجزي والد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه**] [٢] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قيل له : «ما حق الوالدين على الولد ؟ قال : لو خرجت من أهلك ومالك لأبيك ما أديت حقهما » [٣] .

رابعاً : المتابعة بين الحج والعمرة :

المتابعة بين الحج والعمرة من أسباب سعة الرزق ،

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة .
(٢) رواه مسلم والترمذي وأبو داود .
(٣) أخرجه ابن أبي شيبه .

ويسر الحال ، لا كما يظن البعض ، والواقع شاهد على ذلك ومن قبل دلت النصوص الشرعية على ما ذكرناه ، ومن جملة ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينقى الكيرُ خَبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**] (١) .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**هذا البيت دعامة الإسلام ، فمن خرج يؤم « يقصد » هذا البيت من حاجّ أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدُخله الجنة ، وإن ردَّه ردَّه بأجر وغنيمة**] (٢) .

وما يحتف بالحج والعمرة مظنة تحقيق الخير في العاجل والآجل ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

---

(١) رواه النسائي والترمذي وصححه .
(٢) رواه ابن جريح بإسناد حسن .

قال : [**الحجاج والعُمّار ، وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم**] (١) ، والحج واجب مرة في العمر وما زاد على ذلك فهو تطوع ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : [**خطبنا رسول الله ﷺ فقال** : **يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا** ، فقال رجل : أكلَّ عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً ، **ثم قال ﷺ** : **لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال** : **ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**] (٢) .

والقول بالوجوب مرة في العمر لا ينافي استحباب التكرار متى تيسر ذلك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما**

---

(١) رواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان .
(٢) رواه البخاري ومسلم .

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة] [(١)] .

وقالت عائشة رضي الله عنها : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ وكانت قد سمعته يقول : [**لكن أفضل الجهاد : حج مبرور**] [(٢)] ، وفي بعض الروايات : لكنّ أحسن الجهاد وأجمله ، وجنس الحج والعمرة أفضل من التصدق على الفقراء والمساكين ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

نقول فيه أن الحج أفضل من
فعل التصدق والإعطاء للفقراء

وكان قد سُئل :

ماذا يقول أهل العلم فى رجل
آتاه ذو العرش مالاً حج واعتمرا
فهزه الشوق نحو المصطفى طرباً
أترون الحج أفضل أم إيثاره الفقرا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

خامساً : الزواج من أسباب السعة :

الزواج الذي يتم على كتاب الله وسُّنة رسول الله ﷺ ، ويحرص فيه الطرفان على طاعة الله تُعدُّ آية من آيات الله وسبباً لحصول المودة والرحمة ، قال تعالى :﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)** ﴾ [الروم : ٢١] ، وقد جعل سبحانه الزواج سبيلاً إلى الغنى فقال :﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)** ﴾ [النور : ٣١] ، والأيامى جمع أيم ، أي الذي لا زوجة له والتي لا زوج لها .

وقال تعالى :﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور : ٣٢] .

كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول : عجباً لمن لم يلتمس الغنى في النكاح ، والله يقول :﴿ **إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ**

يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ .

وعن أبي هريـرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: [**ثلاثة حق على الله عـونهم : المجـاهد في سـبـيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف**] (١) .

وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قـال : [**أربع من أصـابهن فـقد أعطى خيـر الدنيـا والآخـرة : قلبـاً شـاكـراً ، ولسـاناً ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً ، وزوجـة لا تبغيه حوباً في نفسها وماله**] (٢) .

وعن ثوبان رضي الله عنه قـال : لما نزلت : ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** (٣٤) ﴾ [التوبة : ٣٤] ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفـاره فقـال : بعض أصحابـه أُنزلت في الذهب والفضة ، فلو علمنا أيَّ المال خير فنتخذه ؟ فقال : [**لسان**

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه الطبرانى بسند جيد .

ذاكراً ، وقلب شاكراً ، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه] [١] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : [**الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة**] [٣] ، فالزواج مظنة حصول الخيرات والبركات – بإذن الله – ويشهد لذلك قصة جليبيب رضي الله عنه وكان فقيراً فبعث النبي ﷺ إلى دار من دور الأنصار يخطب له ، فكره والد الفتاة تزويجها منه ، فقالت : ادفعوني لرسول الله ﷺ فإنه لن يضيعني ، ودعا لها رسول الله ﷺ ربه أن يصب عليها الخير صباً صباً ولا يجعل عيشها كداً ، فكانت أكثر دور الأنصار نفقة وسعة .

سادساً : الدعاء :

الدعاء من أنفع الطاعات والقربات في حصول النعم

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه .
(٢) رواه مسلم .

واندفاع النقم ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ، وقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إني لا أحمل هم الإجابة ، ولكن أحمل هم الدعاء ، وذلك لأن العبد إذا أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه .

وكان أيضاً يقول لسعد بن وهيب رضي الله عنه خال النبي ﷺ يا سعد ليس بينكم وبين الله نسب ، أنتم عباده ، وهو ربكم تنالون ما عنده بطاعته .

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه : اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى ، ومن الأدعية النافعة : اللهم إني أسألك علماً نافعاً ،ورزقاً واسعاً ، ودنياً قيماً وشفاء من كل داء،وأعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا

يُستجـاب لهـا ، وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا أكربه أمر قال : [**ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث**] [١] ، ومن الأدعية النافعة دعاء الاستسقاء ، والاسترجاع حال المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها » .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**من أصابه هم أو حزن فليدع بهذا الكلمات يقول : أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك في قبضتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور صدري وربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب غمي وهمي**] فقال رجل

---

(١) رواه الترمذى والحاكم وقال صحيح الإسناد .

من القـــوم : يارســـول الله : إن المغـــبـــون لمن غبن هؤلاء الكلمات ، فقال : [**أجل ، فقولوهن وعلموهن، فإنه من قالهن التماس مافيهن أذهب الله تعالى حزنه ، وأطال فرحه**] [(١)] .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: [**دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت**] [(٢)] .

وعن أنس رضي الله عنه قـال : كـان أكثر دعـاء النبي ﷺ : [**اللهم آتنا في الدنيـا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**] [(٣)] ، زاد مسلم في روايته : وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بهما فإذا أراد أن يدعوا بدعاء دعا بها فيه .

(١) رواه ابن السني والنووى فى الأذكار .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

عن عليّ رضي الله عنه أن مكاتباً جاءه فقال : إني عجزت عن كتابتي فأعني ، قال : ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ ، لو كان عليك مثل جبل ديناً أداه عنك ؟ ، قل : [**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، واغنني بفضلك عمن سواك**] [١] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن ، يقول : [**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي ، وعاقبة أمري ، أو قال : عاجل أمري وآجله ، فاقدره لي ، ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم**

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : عاجل أمري وآجله ، فاصرفه عني ، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ، قال : ويسمى حاجته] [(١)] .

فالاستخارة مستحبة في جميع الأمور ، وما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق،وعليك بالإكثار من الدعاء : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، ولا تمتنع من الدعاء لما تعلمه من نفسك فإن الله أجاب دعاء شر الخلق إبليس عندما سأله المهلة إلى يوم القيامة ، وخذ بأسباب الإجابة ، كالتطهر والصدقة واستقبال القبلة واغتنام أوقات وأحوال الإجابة ، والإلحاح على الله بالطلب وإظهار التضرع والتذلل وتكرار الدعاء ، وتطييب المطعم والمشرب والملبس ، وتقديم الثناء على الله ، والصلاة على رسول الله ﷺ بين يدي الدعاء ،

(١) رواه البخاري .

والدخول على الله من باب الأسماء والصفات مثل ياكريم اكرمني ، يارزاق ارزقني ، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : [**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس بها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل لها دعوته،وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**] [١] .

واعلم أنه لن يهلك مع الدعاء أحد ، فادع الله وأنت موقن بالإجابة ، ولا تعجل ، ولا تقل : اللهم ارزقني إن شئت ، فإن الله لا مكره له ، وانظر في دعاء نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ورد ماء مدين وسقى الماء للفتاتين ثم توجه إلى الظل وقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[القصص: ٢٤]، فما تختلفت عنه الإجابة قال تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ

---

[١] رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ورواه الترمذي بمعناه .

إنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

[القصص : ٢٥]

وكذلك كان الأمر بالنسبة لنبي الله أيوب عليه السلام ، قال تعالى :﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤) ﴾ [الأنبياء : ٨٣ – ٨٤] ، وقال :﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٤٣] ، فما تحول بقلبه عن ربه رغم شدة البلاء ،بل دعاه سبحانه ، فما أحوجه الله لمخلوق ، بل قيل له :﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) ﴾ [ص : ٤٢] ، فشرب واغتسل وشفاه الله ، وعاد أكمل ما كان صحة وقوة ، وأعاد عليه أهله وماله أوفر ماكان ، وهذا كله ببركة دعائه وصبره على البلاء واستقامته على أمر الله في عسره ويسره ورخائه وشدته .

سابعاً : الانشغال بذكر الله تعالى :

من انشغل بذكر الله تعالى أعطاه الله أفضل ما يعطي السائلين ، وقد علَّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعلياً رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين ، لما سألته الخادم ، وشكت إليه ما تقاسيه من العمل ، ثم قال : [**إنه خير لكما من خادم**] (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : [**لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم**] (٢) ، وفي رواية لمسلم أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال ذلك .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**من**

---

(١) رواه البخاري ومسلم الترمذي .
(٢) رواه البخاري ومسلم .

قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله عز وجل] (١) .

وعن أبي سعيد بن وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه : كلمة أخي يونس صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) ﴾** [الأنبياء : ٨٧] .

وفي الحديث : [**دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له]** (٢) .

وعن عليّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**يا عليّ ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة قلتها ؟ قلت :**

---

(١) رواه ابن السني وإسناده ضعيف .
(٢) رواه الترمذي .

بلى ، جعلني الله فداءك ، قال: إذا وقعت في ورطة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فإن الله تعالى يصرف بها ماشاء من أنواع البلاء] (١) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وقال : علمني كلاماً أقوله ، قال : [**قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً وسبحان الله رب العالمين ، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم**]، قال : فهؤلاء لربي فما لي ؟ ، قال : [**قل : اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني**] (٢) .

ثامناً : الاستغفار :

قال تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١)**

(١) رواه ابن السنى ، والنووى فى الأذكار .
(٢) رواه مسلم .

وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح : ١١ - ١٢] .

وقال تعالى: عن هود عليه السلام : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[هود:٥٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل همّ فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب**] (١) .

تاسعاً : الصدقات الواجبة والمستحبة :

الزكاة نماء وبركة وطهرة للنفس ، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة :١٠٣].

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

(١) رواه أبو داود وابن ماجه .

[يا معشر المهاجرين خصال خمس ، ان ابتليتم بهن ونزلت بكم أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين « الفقر » وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر « المطر » من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله ، إلا سُلط عليهم عدوّ من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جُعل بأسهم بينهم] (١) .

وعن أبي كبشة الأنماري أن النبي ﷺ قال : [ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه ، ما نقص مال من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها ، إلا زاده

---

(١) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي ، والحاكم بنحوه ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

الله بها عزاً ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر] (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال: [**إنك تأتي قوماً أهل كتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**] (٢) .

وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : [**إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع**

---

(١) رواه الترمذي .
(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

فقراءهم ، ولن تجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنيائهم] (١) .

وفي الحديث : [**ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً**] (٢) ، فوسع على نفسك بالنفقة على الأهل والأقارب والأولاد ، وتصدق على الفقراء والمساكين ، فالمال هو مال الله وأنت مستخلف فيه ، واحتسب في نفقتك فأنت تتعامل مع أكرم الكرماء ، والجزاء من جنس العمل ، وقد ورد في الحديث : [**هل تُرزقون إلا بضعفائكم**] (٣) .

ولما اشتكى الرجل المحترف من أخيه الذي حضر مجلس رسول الله ﷺ قال له النبي ﷺ : لعلك ترزق به

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والصغير تفرد به ثابت بن محمد الزاهد وقد روى عنه البخاري ، وقصة رواته لا بأس بها .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخاري .

وقد ذكروا عن عبد الله بن جعفر أنه كان جوداً لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه حتى جاءه رجل يوماً يقول له : ابن سبيل ، فنزل له عبد الله عن دابته وأعطاه حقيبة فيها من مطارف الخبز ، وأربعة آلاف درهم ، ودفع له سيف عليّ ، وقال : إياك أن تغلب عليه فجاءه الحسن والحسين يراجعانه ، ويقولان له : رحمك له أنفق ولا تسرف ، فقال : بأبي وأمي أنتما ، إن الله عودني أن يتصدق عليّ ، وعودته أن أتصدق على عباده وأخاف أن أقطع النفقة فيقطع عني .

عاشراً : الجهاد في سبيل الله :

فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله : [**أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي : أحل الله الغنائم لهذه الأمة دون غيرها ، نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ ، وأُحلت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي ، وأُعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى**

قومه ، وبُعثت إلى الناس عامة] (١) ، وسبب ذلك ما جاء عن أبي هريـرة أن النبـي ﷺ قال : [**فلم تحل لأحد من قبلنا ، ذلك لأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا]** (٢) ، أي أحلها لنا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**أظلتكم فتن كقطع الليل المظلم أنجى الناس منها ، صاحب شاهقة ، يأكل من رسل غنمه ، أو رجل من وراء الدروب ؛ آخذ بعنان فرسه ؛ يأكل من في سيفه]** (٣) .

وعن مكحول قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن الله جعل رزق هذه الأمة في سنابك خيلها وأزرجة رماحها ، ما لم يزرعوا ، فإذا زرعوا صاروا من الناس]** (٤) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .
(٤) رواه ابن أبي شيبة مرسلاً بإسناد جيد .

وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**اغزوا تصحوا وتغنموا**] (١) .

وقد بُعث رسول الله ﷺ بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له ، وجُعل رزقه حتى ظل رمحه ، وجُعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، ومن تشبه بقوم فهو منهم ، وقد ورد في حديث أبي أُمامة أن رجلاً جاء فقال : يارسول الله أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ، ماله؟ قال ﷺ : [**لا شيء له ، فأعادها ثلاثاً ، كل ذلك يقول : لا شيء له**] (٢) ، ثم قال رسول الله ﷺ : [**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه**] ، ولا يدخل في ذلك من خرج للغزو ، وقصد إعلاء كلمة الله ، ثم حصل له شيء من المغنم ضمناً فغنيمته هذه مباحة له ، ولكنها تنقص من أجره ، ففي الحديث : [**ما من**

(١) رواه ابن أبي شيبة مرسلاً وفيه إسماعيل وهو ضعيف .
(٢) رواه أبو داود والنسائي بإسناد جيد .

غازيـة تغـزو في سبيل الله فيـصيبون الغنيـمة إلا تعجلوا ثلثي أجـرهـم من الآخـرة ويبـقى لهم الثلث ، وإن لـم يصيبوا غنيـمة تم لهم أجرهم] (١) ، وفي روايـة لمسلم : [**ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم ، وما من غازيـة أو سريـة تخفق وتصاب إلا تم أجورهم**] أي لم يغنموا شيئاً .

وقد أورد الإمام البخاري باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره ؟ ولم يجزم في المسألة بشيء وأورد حديث أبي موسى الأشعري : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا « وكذلك لم يجزم ابن حجر في الحكم ، أما النووي فقال : فالصواب الذي لا يجوز غيره أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم ، أو سلم ولم يغنم ، وإن الغنيمة هى في مقابلة جزء من أجر غزوهم ، فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على

(١) رواه مسلم .

الغزو ، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر ، وهذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة كقوله « منا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها » أي يجتنيها فهذا الذي ذكرنا هو الصواب وهو ظاهر الحديث ولم يأت حديث صريح صحيح يخالف هذا فتعين جملة على ما ذكرنا . أ . هـ .

الحادي عشر : ترك المعاصي لأنها ممحقة للبركات متلفة للأرزاق :

هناك علاقة وثيقة بين الأسباب ومسبباتها وبين المقدمات ونتائجها ، فكل مقدمة لها نتيجة وكل عقيدة لها تأثير ، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن**

سـدْرٍ قليلٍ ﴿١٦﴾ ذَلكَ جَـزَيْنَاهُم بِمَـا كَـفَرُوا وَهَلْ نُجَـازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ : ١٥ - ١٧] .

لقد ضُرب بقوم سبأ المثل وقيل تفرقوا آيادي سبأ ، شذر مذر ، ولا سبب لذلك إلا الإعراض والكفر ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وقال : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم : ٤١]

وقال : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾

[الإسراء : ١٦]

وقال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ

وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾.

[الطلاق : ٨ – ٩] .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : **[يكون في آخر هذه الآمة خسف ومسخ وقذف]** ، قالت : قلت : يارسول الله ؛ أنهلك وفينا الصالحون ؟ ، **[قال : نعم إذا ظهر الخبث]** (١) .

وفي الحديث: **[والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ، ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم]** (٢) ، وورد : **[ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون ، إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا]** (٣) .

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه أبو داود وابن ماجه .

لقد أصبحنا اليوم نغتر بكل معصية ونشق الطريق لكل منكر ، ونرى كل من يدعو إلى الكفر بعين ملؤها غبطة ، فإن اعترض عليه أحد أو أنكر عليه يُعتبر رجعياً ، يعوق المجتمع عن التقدم ... فما أعظم الفرق بين أمسنا ويومنا ، فلا يُستغرب كثرة الزلازل والفياضانات والحوادث والكوارث التي تمحق البركات وتتلف وتدمر الأرزاق ، وانظر لفرائض الإسلام كيف ضُيعت ، كم من الناس يصلون ويزكون ؟!.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعث لولاته ويقول : ألا إن أهم أموركم عندي الصلاة ، ألا إنه لا حظ في الإسلام لمن ضيع الصلاة ، وكان يقول : من ضيعها فهو لما سواها أضيع ، فشا الظلم والجهل والزنا وضُيعت الأمانة وأُسند الأمر لغير أهله وشُربت الخمر واستبيحت ، وقد ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال : [**يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وشاربها ، وبائعها ومبتاعها وساقيها**

ومسقاها] [١] .

والخمر هي أم الخبائث ومفتاح كل شر ، فإذا كانت الأوضاع التي تبيحها ملعونة فلا يبقى إلا ارتفاع الرحمة ونزول النقمة ، وانظر في التعاملات الربوية التي استشرت علي مستوى الفرد والدولة والجماعة ، وصار البعض يرى أنه لا حياة بدونها !!! .

قال تعالى : ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)** ﴾ [البقرة : ٢٧٦] .

وقال : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [البقرة : ٢٧٨] .

---

(١) حديث حسن ، رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

نزلت بشأن أهل الطائف ، وكانوا يصلون ويصومون ... ولكنهم كانوا يتعاملون بالربا ... وهو آخر المحرمات في القرآن ، فتهددهم سبحانه وتوعدهم بما لا طاقة لهم بها ، إن هم لم ينتهوا عن هذه التعاملات الربوية ، وقد لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء،والربا سبعون جزءاً ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : [**يامعشر المهاجرين ! خمس خصال إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا الميكال والميزان إلا أخذوا بالسنين ، وشدة المؤونة ، وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطرو ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا**

سلط الله عليهم عدواً من غيرهم ، فأخذوا بعض ما فى أيديهم ، ولو لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله جعل الله بأسهم بينهم] (١) .

لقد صُرفت العبادة لغير الله،وحكمنا بغير ما أنزل الله ، وصار الولاء والبراء ليس لله فيه نصيب ، نوالي الكفار ، ناهيك عن التبرج والاختلاط والرشوة والغصب ، والعقوق وإضاعة الحقوق ، والرقص والغناء وحياة اللهو واللعب ، مما جعلنا أذلة ومكن الأعداء من رقابنا ، فلا نحن تقدمنا وتطورنا وتحضرنا ولا نحن استبقينا ديننا ، وكيف تكون الحضارة بلا دين ، وهل الاستمساك بالشرع يتنافى مع التطور والتقدم ؟ ، قال تعالى :﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء : ٩] ، وقال :﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

---

(١) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقى والحاكم بنحوه ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، فعلينا أن نعود إلى ديننا عوداً حميداً ، وأن نتوب إلى ربنا ، فمن رحمته سبحانه أنه يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾ [هود : ١٠٢] ، وإذا كان الله لا يأخذنا بعذاب يفاجئنا ونقمة تقضي علينا جميعاً ، فذلك بفضل رحمة الله علينا ودعاء نبيه ﷺ ، إن ذنباً واحداً يكفي لهدم ما بنيناه ، فكيف إذا توالت المعاصي والذنوب بلا حياء ، وأعمالكم عمالكم ، وما ربك بظلام للعبيد .

تنبيه هام جداً

يتعلق بأسباب سعة الرزق التي ذكرناها

لا يخفى على أحد أهمية السعي طلباً للكسب والمعاش وتحصيلاً للأرازق ، وأنه عبادة يُتقرب بها إلى الله ، وأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأفضل الدنانير الذي ينفقه المرء على أهله وعياله ، وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول ، وقد كثرت الحاجات والمتطلبات والضواغط العرفية التي صرنا أسرى لها ، ولا يخفى أيضاً كثرة الصور والأسباب والمصادر المباحة للتكسب كالزراعة والصناعة والرعي والصيد والتجارة والتملك بالإرث والهدية ... وأنه إذا أضاق الأمر هنا فقد يرتحل المرء إلى غير وطنه لتجارة وعمل ونحو ذلك ، وقد أردنا التنبيه على المعاني الإيمانية التي صارت مهجورة بسبب حياتنا المادية كالدعاء والاستغفار وبر الوالدين ومتابعة الحج والعمرة ... وغير

ذلك من الطاعات والقربات التي يتحقق بها الإيمان والتقوى ، وكان يسعنا في ذلك أن نذكر أنفسنا وإخواننا بتقوى الله ونكتفي فهي جماع كل خير في الدنيا والآخرة، ولكننا انتقلنا من الإجمال إلى التفصيل ، فذكرنا بعض أسباب سعة الرزق التي وردت بها نصوص الشريعة ، والتي تدخل ضمن مفهوم التقوى ولا تنفصل عنه ، ولما كانت التخلية قبل التحلية ، وقد أُمرنا بتقوى الله ما استطعنا ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾[التغابن : ١٦] .

ولذلك ذكرت أن من أعظم أسباب سعة الرزق التباعد عن المعاصي والمنكرات ، فالمخالفات سبب محق البركات وتدمير الأرزاق،ولذلك لزم تركها وهذا من أعظم الواجبات وقد ورد في الحديث : [**إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**] (١) .

---

(١)رواه البخارى ومسلم .

وهذه الأسباب الإيمانية المذكورة هى من أعظم أسباب سعة الرزق ولا تتعارض مع الزراعة والصناعة والتجارة ... فينبغي الحرص عليها في كل آن وحين وعدم التفريط فيها ، والحرج كل الحرج في نسيان الله ومواقعة ما حرم الله بزعم طلب الرزق أو التوسعة على الأهل والعيال .

ولا يخفى عليك أهمية إخلاص العبادة لله تعالى ، قال سبحانه: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾ [البينة : ٥] ، فالعبد سعيد بطاعة الله في الدنيا والآخرة ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ٥] ، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] والمؤمن من يطعم بحسناته في الدنيا والآخرة، أما الكافر فهو يطعم بحسناته في الدنيا دون الآخرة لأن الله حكم عدل .

قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ

هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النور : ٣٩] ، فما عمله الكافر من خير يراه في ذريته وصحته وماله ... أما الآخرة فليس له فيها إلا النار ، ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ عن ابن جدعان ، وأنه كان يقري الضيف ، ويُكسب المعدوم ، ويعين على نوائب الحق ، قال : هو في النار ، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ، وهذا يفسر لك لماذا ينعم ويتمتع الكافر في الدنيا وقد يكون أكثر مالاً وأوفر صحة من المسلم ... فالدنيا هي سجن المؤمن وجنة الكافر ، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد : ١٢] .

فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، واضبطوا الحركات والسكنات والأقوال والأفعال ، بل

والمشاعر والأحاسيس بشرع الله ، ولا تنشغلوا بالرزق الفانى عن الرزق الباقي والنعيم الدائم في الجنة ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ** (٥٤) ﴾ [ص : ٥٤] .

واحذروا التكالب على الدنيا وإضاعة الدين بسببها ، والانشغال بها عن الله ، فإن ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** (٥٨) ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

أسباب تعينك
على تحقيق غنى النفس

أولاً : مطالعة أحوال سيد الأولين والآخرين ﷺ :

قال تعالى : ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه : ١٣١] .

وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾ [الكهف : ٢٨] .

وقال : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ .

[النجم :٢٩-٣٠] .

وعن ابن عـبـاس رضي الله عنهما أن الله أرسل إلى نبـيـه ملكاً من الملائكة معه جبريل عليه السلام ، فقال الملك لرسوله : [**إن الله يخيّرك بين أن تكون عبداً نبياً وبين أن تكون ملكاً نبياً فالتفت رسول الله إلى جبريل كالمستشير له، فأشار جبريل إلى رسول الله ﷺ : أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ : بل أكون عبداً نبياً ، قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً متكئاً حتى لقي الله عز وجل**] (١) .

ولما دخل عـمـر رضي الله عنه على رسـول الله ﷺ ، وإذا هو مضطجع على رُمَال حصير قد أثّـر في جنبـه ، فهـملت عينا عـمـر ، **فـقـال** : **مـالك** ؟ فقلت : يارسـول الله أنت صفـوة الله من خلقـه ، وكسرى وقيـصر فيـما هما فيه ، فجلس محـمـراً وجـهـه **فـقـال** : [**أوَفي شك أنت يا ابن الخطاب**] ثم قال : [**أولئك قوم عُجلت لهم طيباتهم**

(١) رواه البخارى فى التاريخ وأخرجه النسائى وأصله فى الصحيح بنحو من هذا اللفظ .

في حياتهم الدنيا] [١] .

وفي رواية لمسلم : [**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟** فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : [**فاحمد الله عز وجل]** .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتي رسول الله ﷺ يوماً بطعام سخن فأكل ، فلما فرغ قال : [**الحمد لله ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا]** [٢] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها ناولت رسول الله ﷺ كسرة من خبز الشعير فقال : [**هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام]** [٣] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء ، وكان عامة

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه ابن ماجه .
(٣) رواه أحمد .

خبزهم خبز الشعير(١) ، وفي الصحيح أن أبا طلحة قال : يا أم سليم :لقد سمعت صوت رسول الله أعرف فيه الجوع ؛ والآثار في ذلك كثيرة ، وكلها تدل على زهده ﷺ في هذه الدار وإقباله واجتهاده وعمله لدار القرار ، لقد كان سيد الراضين الصابرين الشاكرين ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته ، في مهنة أهله ، يأكل أكلة العبد ، ويجلس جلسة العبد ، فلك فيه أسوة حسنة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ثانياً : مطالعة التراجم والسير للصحابة ﷺ ومن تابعهم بإحسان :

قالت حفصة لعمر - رضي الله عنهما - : يا أمير المؤمنين لو اكتسيت ثوباً هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاماً ما هو أطيب من طعامك ، فقد وسع الله من الرزق وأكثر من

(١) رواه ابن ماجه .

الخير ، فقال : إني سأخاصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش ، وكذلك أبو بكر ؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها ، فقال لها : أما والله لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد لعلي أدرك عيشهما الرّخي (١) .

وعن الحسن قال : خطب عمر الناس وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة ، وعن أنس قال : كان بين كتفي عمر ثلاثة رقاع .

وعن أبي صالح قال : قال معاوية بن أبي سفيان لضرار ابن ضمرة : صف لي علياً ، فقال : أوتعفيني ؟ قال : بل صِفه ، قال : أوتعفيني ؟ قال : لا أعفيك . قال : أما إذاً ، فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وينطق بالحكمة من

---

(١) رواه أحمد .

نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، وكان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشُن ، ومن الطعام ما جشُب ، وكان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، يبتدئنا إذا أتيناه ، ويأتينا إذا دعوناه ، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ، ولا نبتديه لعظمه ، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييئس الضعيف من عدله ، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُجوفه وغارب نجومه ، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، وكأني أسمعه وهو يقول : يا دنيا يا دنيا أبي تعرّضت أم لي تشوّفت ؟ هيهات هيهات غُرىّ غيري ، قد بتتّك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، آه من قلة الزاد وبعُد السفر ووحشة الطريق قال :

فذرفت دموع معاوية رضي الله عنه حتى خرّت على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، ثم قال معاوية : رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن كمن ذُبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبْرتها ، ولا يسكن حزنها .

وعن سفيان الثوري قال : قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال : يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق ، فاكتنفه الناس فقال : أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً ليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغّه ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن سفر طريق القيامة أبعدُ ما تريدون ، فخذواه ما يصلحكم ، قالوا : وما يُصلحنا ؟ قال : حجوا حجة لعظائم الأمور،وصوموا يوماً شديداً حرُّه لطول النشور، وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور ، كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم ، تصدق بما لك لعلك تنجو من عسيرها ، اجعل الدنيا

مجلسين ، مجلساً في طلب الحلال ومجلساً في طلب الآخرة ، الثالث : يضرك ولا ينفعك لا ترده ، اجعل المال درهمين درهماً تنفقه على عيالك من حِلّه ، ودرهماً تقدمه لآخرتك ، الثالث : يضرك ولا ينفعك لا ترده .

ثم نادى بأعلى صوته : يا أيها الناس قد قتلكم حِرص لا تدركونه أبداً .

وعن جعفر بن سليمان قال : دخل رجل على أبي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته فقال : يا أبا ذر أين متاعكم ؟ قال : لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا . قال : إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا ، قال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه .

وعن خباب رضي الله عنه قال : هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله ، فوجب أجرنا على الله عز وجل فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئاً ، ومنهم مصعب بن عمير قُتل يوم أُحد فلم نجد له شيئاً نكفنه فيه إلا نَمِرة ، كنا إذا

غطينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي بها رأسه ، ونجعل على رجليه من الإذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته ، فهو يهدبها [١] .

ولما حضر معاذ بن جبل رضي الله عنه الموت قال : انظروا أصحبنا ؟ قال : فأتي فقيل : لم نصبح حتى أتى في بعض ذلك فقيل له : قد أصبحت ، فقال : أعوذ با من ليلة صباحها النار ، مرحباً بالموت مرحباً ، زائر مُغُبّ ، حبيب جاء على فاقة ، اللهم إني قد كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ، إنك لتعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لِكرَى الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

وكـان أبو الدرداء إذا رأى جنازة قـال : اغـدوا فـإنا رائحون ، وروحوا فإنا غادون موعظة بليغة وغفلة سريعة ، كفى بالموت واعظاً ، يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلم له .

وكان يقول : اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب ، قيل : وما تفرقة القلب؟ قال : أن يوضع في كل واد مال ، وكتب إلى أخ له : أما بعد فلست في شيء من أمر الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ، وهو صائر له أهلٌ بعدك ، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك فآثرها على المصلح من ولدك فـإنك تقـدم على من لا يعـذرك ، وتجمع لمن لا يحمدك ، وأما عامل فيه بمعصية الله عز وجل فيشقى بما جمعت له ، وليس – والله – واحد منهما بأهل أن تُبْرد له على ظهرك وأن تؤثره على نفسك ، ارجُ لمن مضى منهم رحـمـة الله ، وثقْ لمن بقى منهم برزق الله عـز وجل ، والسلام .

وكان أويس بن عامر سيد سادات التابعين يقول :

يا أهل الكوفة توسدوا الموت إذا نمتم وضعوه نصب أعينكم إذا قمتم ، وقد وصفه الشاطبي بأنه سيد العُبّاد بعد الصحابة ، وقال عنه الذهبي : القدوة سيد التابعين في زمانه ، وقال عنه الإمام أحمد : لا زهداً إلا زهد أويس بلغ من العري حتى قعد في قوصرة ، وكان أويس يعتذر إلى ربه ويقول : اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة وبدني عاري فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني ، وليس شيء من الدنيا إلا ما على ظهري ولم يكن على ظهره حينئذ إلا خرقة .

وطالع أحوال سلفك الصالح فلك فيهم أسوة وقدوة ، وعساك يصيبك شيء من غنى النفس الذي عاشوا به وكانوا عليه .

وكل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

وأفضل الأحوال ما اصطفاه ربنا لصحابة نبيه ﷺ .

ثالثاً : التوكل من أعظم أسباب غنى النفس :

من تعلق قلبه بالله تعالى في جلب النفع ودفع الضر كفاه ما أهمه ، واندفع عنه ما أغمه ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : ٣] .

وقال : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ – ١٧٤] .

وقال : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ [الزمر : ٣٦] .

وقد أمر سبحانه خلقه بالتوكل عليه والإنابة إليه

وتفويض الأمر له وحده ، فقال : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩].

وقال : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (٨١) ﴾ [النساء : ٨١] .

وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

[المائدة : ٢٣] .

فعلى العبد أن يستفرغ وسعه في الأخذ بالأسباب ويتعلق بقلبه بخالق الأرض والسموات ، وقد فسر بعض العلماء التوكل بصورة من صور الأخذ بالأسباب كإطفاء السراج وإغلاق الباب ، وهو من أعظم العبادات القلبية ، ولا معارضة بينه وبين تعاطي ما أمر الله به من الأسباب ، قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ [الفرقان : ٥٧] .

روى أن شقيق البلخي قال لحاتم الأصم : قد صحبتني

مدة ثلاثين سنة فماذا تعلمت ، قال : ثمان مسائل :

الأولى : فإني نظرت إلى الخلق فإذا كل شخص له محبوب ، فإذا وصل إلى القبر فارقه محبوبه ، فجعلت محبوبي حسناتي لتكون معي في القبر .

وأما الثانية : فإني نظرت إلى قوله تعالى: ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠] ، فأجهدتها في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله .

وأما الثالثة : فإني رأيت كل من معه شيء له قيمة عنده يحفظه ثم نظرت في قوله سبحانه : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦] ، فكلما وقع معي شيء له قيمة وجهته إليه ليبقى لي عنده .

وأما الرابعة : فإني رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف، وليست بشيء فنظرت إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[الحجرات : ١٣] ،

فعملت بالتقوى لأكون عنده كريماً .

أما الخامسة : فإني رأيت الناس يتحاسدون فنظرت إلى قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الزخرف : ٣٢] ، فتركت الحسد .

وأما السادسة : رأيتهم يتعادون فنظرت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر : ٦] ، فتركت عدواتهم واتخذت الشيطان وحده عدواً .

وأما السابعة : رأيتهم يذلون أنفسهم في طلب الرزق فنظرت إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] ، فاشتغلت بماله عليّ وتركت الذي لي عنده .

وأما الثامنة : رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم فتوكلت على الله تعالى . أ . هـ .

وقد بنى حاتم الأصم أمره في التوكل على خصال

أربع ، قال : علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لن يعمله غيري فأنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره ، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه .

وكان البعض يقول : ما من صباح إلا والشيطان يقول لي : ما تأكل وما تلبس وأين تسكن ؟ فأقول : آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر .

رابعاً : الإيمان بالقضاء والقدر :

الكون الذي نعيش منظم ومُحكم ويسير وفق علمه سبحانه وحكمته ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨] ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (٣٨) ﴾ [الأحزاب : ٣٨] والرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله بقسطه وعلمه جعل الرَوَحَ والفرح في اليقين والرضى ، وجعل الهَمَ والحزن في

الشك والسخط ، والقدر هو نظام التوحيد كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، فمن كذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده ، والمؤمن بالقضاء والقدر يشبع ويطمئن قلبه ، ويكون غنياً بلا مال ، قال تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)** ﴾ [الحديد : ٢٢ – ٢٣] .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما [**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**] [١] ، وفي رواية أخرى : [**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما**

(١) حديث صحيح رواه الترمذي .

أصابك لم يكن ليخطئك] [١] .

ومن العباد من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو افتقر لأفسده ذلك ، ومنهم من لا يصح إيمانه إلا الفقر ولو اغتنى لأفسده ذلك ، ومن العباد من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو مرض لأفسده ذلك ، ومنهم من لا يصلح إيمانه إلا السقم ، ولو صح لأفسده ذلك ، وإن العباد ليهمّ بالتجارة أو الإمارة فيُصرف عنها ، فيقول شتمني فلان ، منعني فلان ، وماهي إلا رحمة الله به فالله هو الذي يدبر أمر عباده بعلمه بما في قلوبهم وهو العليم الحكيم ، وينبغي أن يُعلم أن التسليم للقدر يكون بعد بذل الوسع في تعاطى ما أمر الله به من الأسباب ، ويكون هذا التسليم في المصائب لا في المعايب ، إذ المعايب لابد وأن تنتهي عنها ، ونستغفر الله منها .

---

(١) حديث صحيح أخرجه أبو داود وابن ماجه .

خامساً : معاني الإيمان بالله واليوم الآخر :

كلما قويت العقيدة قربت بين العبد وبين ما كان عليه الأنبياء والصالحون من غنى النفس وطمأنينة القلب والرضى عن الله في العسر واليسر والمنشط والمكره والغنى والفقر ، قال تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [النور : ١٢٢] .

وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) ﴾ [الشورى : ٥٢] .

ومن الإيمان بالله الإيمان بأسمائه وصفاته ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

والله هو القابض الباسط ، المعطي المانع ، المعز المذل ، الخافض الرافع ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير سبحانه وهو على كل شيء قدير ، غير مطعون في شيء من ذلك كله ، ولذلك فلا اعتراض عليه إذا تصرف في ملكه ، فهو خالق الخلق ومالك الملك ، والناس يدورون بين فضل وعدل ، ولا ظلم بين العباد، فإذا كانت الدنيا شيئاً هو له ، فله أن يعطيها من يشاء ويمنعها ممن يشاء ، ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** (٢٣) ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

ولا يعطي من أعطى لمكانته عنده ، ولا يمنع الدنيا من منع لحقارته لديه ، فالميزان عند الله يختلف عن موازين البشر المادية ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** (١٢) ﴾ [محمد : ١٢] .

وفي الحديث : [**لو كانت الدنيا تعدل عند الله**

جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء] [١] .

ولا أنفع للعبد في تحقيق غنى النفس من تذكر الموت والقبور والآخرة ، والارتحال طلباً لما عند الله من نعيم مقيم ، بحيث يستحضر سكرات النزع وفراق المال والأهل والأحباب وضيق القبور وفتنتها وتطاير الصحف والصراط والميزان والجنة والنار ، وكأن قد ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، فالدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة قدا رتحلت مقبلة ، وكل ما هو آت فهو قريب والبعيد ماليس بآت ، فلابد من المبادرة فإنما هي الانفاس ، وكل نفس قد تشتري به نعيماً لا ينفذ وقرة عين لا تنقطع ، وقد قال رسول الله ﷺ عند وفاة ابنه إبراهيم : [**تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ، ولولا أنه وعد صادق وموعود جامع وأن الآخر منا يتبع الأول ، لوجدنا عليك يا إبرهيم وجداً ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون**] [٢] .

(١) رواه الترمذى وقال : حديث صحيح غريب .
(٢) رواه البيهقى بسند صحيح .

فالإيمان بالله واليوم الآخر يخفف المصائب ويسلي النفوس بحيث تحسن المسير إلى الله تعالى .

سادساً : دار ابتلاء والكل فيها مبتلى ، ومن يُرد الله به خيراً يصيب منه :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف : ٧] .

وصح الخبر عن رسول الله ﷺ : [**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل**] (١) ، وورد : « **فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه** » ، فلابد من امتحان واختبار في هذه الدار فلا تجزع من ذلها ولا تنافس في غيرها ، فلك شأن وللناس شأن، واحذر أن تنقلب على عقبك القهقري ، أو أن تبيع دينك بدنياك أو بدنيا غيرك واعلم [**أن الله إذا**

(١) رواه الطبراني .

أحب قوماً ابتلاهم] (١) .

ومما يسلي النفوس المؤمنة ما ورد في الحديث : [**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه]** (٢) .

وفي الحديث أيضاً : [**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحداً إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له]** (٣) .

فإن لم ترض بقضائه فارحل من تحت سمائه ، واختر لك رباً سواه ، وما أنت بفاعل ، فكان لابد من الصبر والرضى والطمأنينة والثقة وبذلك يتحقق غنى النفس أتم

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح .
(٢) رواه أحمد والبخارى ومسلم .
(٣) رواه مسلم .

تحقيق ، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ [الزمر : ١٠] ، وما أعطى أحد عطاء أوسع من الصبر ، فهنيئاً لك إن أنت احتسبت الأجر عند الله وعشت حياة الإيمان .

سابعاً : تدبر آيات الله :

أوضح النبي ﷺ لأمته أن الغنى ليس بكثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس ، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] وقد كانت أقواله وأفعاله من مشكاة واحدة فلا يُظن بنصوص الوحي وجود تعارض ، ولذلك فكل آية من آيات الله تعالى داعية

لتحقيق هذا الغنى المنشود ، فالقرآن وعد ووعيد ، وترغيب وترهيب ، وبشارة ونذارة ، وقصص قرآني حكى لنا شأن من استقام وآثر ما عند الله فكانت له الحسنى وزيادة في الأخرة والسعادة الحقيقية في دنياه وأخراه ، ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النازعات : ٣٧-٣٩] ، ومثل هذا يخطىء من يظنه سعيداً بماله وجاهده وسلطانه في الدنيا .

قال تعالى : ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥٥] ، قال البعض : يعذبون بجمعها وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها ، فلا بد أن يشقى العبد بإيثاره ما سوى الله ، وإن حدثت له لذة ، فهي لذة ساعة وألم دهر .

قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ

إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾ [هود : ١٥ - ١٦] .

وقال سبحانه عن المشركين : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾ [الحج : ٣١] .

فهذا هو شأنهم حتى وإن امتلكوا الدنيا ، فلا تنخدع بزخرف فانٍ وعارية مسترجعة وظل حائل ، وقف مع حقائق القرآن والسُّنة ، ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**من كانت الدنيا أكبر همه ، جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**] (١) ،إن القرآن يزرع الإيمان ويثبته في النفوس بحيث تطمئن به القلوب ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ**

(١) رواه الترمذى وضعف الألبانى إسناده ، وقال : لكنه حسن فى المتابعات ، وله شاهد عند ابن ماجه وابن حبان .

الْقُلُوبُ (٢٨) ﴾ [الرعد : ٢٨] .

كما كان يزود المسلم بالتصورات والمفاهيم الصحيحة ويرد على شبهات ووساوس شياطين الإنس والجن ممن يخربون العقول بانحرافها عن منهج الله ، ويدمرون القلوب بمادية طاغية وبإيثار الفانية على الباقية ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً (٣٣) ﴾ .

[الفرقان : ٣٢ - ٣٣] .

ثامناً : النظر لمن هو دونك في الدنيا يحقق لك غنى النفس :

ورد في الحديث : [**انظروا إلى من هو أسفل منكم « في متاع الدنيا » ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم**] [1] ، فهذه هي نظرة

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

المسلم ، ينظر في الدين لمن هو فوقه حتى يتأسى به ، وينظر في الدنيا لمن هو تحته حتى يحمد ربه ويؤدي شكر النعمة التي يعيشها ، ولا يحتقر ما هو فيه ، فلو كان يسكن حجرة يقول لنفسه البعض لا يستطيع سكنى الأرصفة ، وإن امتلك قوت يومه قال : الحمد لله ، فالبعض لا يجد شربه ماء ولا رغيف الخبز ، بعكس ما لو تطلع لمن يسكن القصور ويمتلك الملايين ، فمثل هذا لا يشبع من جهة ويظل ساخطاً وتدعوه نظرته المريضة هذه إلى الغل والحقد والحسد بحيث يتمنى زوال النعمة من الآخرين ، ولا يمكن أن يتحقق الشبع وغنى النفس إلا بالنظر لمن هو دونك فهذا يجعلك واقعياً كما ورد في الحديث : [**لا يفرك مؤمن مؤمنة ؛ إن كره منها خلقاً رضى منها آخر**] (١) ، فاحذر الخيالية المتلفة ، وهذا يحقق لك الثبات في مواجهة المحن والفتن فعندما جاء خباب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم .

وكان متوسداً بردة في ظل الكعبة ، وقال له : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال ﷺ : [**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا لأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**] (١) .

والبعض عندما يتطلع لمن هو فوقه في الدنيا ، ويتعدى نصوص الشريعة ويفرط في الصلاة وغيرها ، قد يطلق على ذلك اسم علو الهمة !! وهذا انحطاط وتدني إذا أتى على حساب الدين ولابد من تسمية الأشياء باسمها ، فالعملة الزائفة لا تروج على الله ، وقد قال العلماء : إذا رأيت

---

(١) رواه البخاري .

الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة ، وإن استعطت لا يسبقك إلى الله أحد فافعل ، وقال عمر : الروية في كل أمر خير ، إلا ما كان من أمر الأخرة .

وفي طلب الدنيا ورد قوله تعالى: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥] .

وقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

أما طلب الآخرة فقال : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] .

وقال أيضاً : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾ . [الصافات : ٦١] .

وقال : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

فانظر للفارق بين طلب وطلب وتدبر أمرك ، وانظر

لمن هو دونك ، وسل الله من فضله ، يتحقق لك غنى النفس بإذن الله .

تاسعاً : ما خاب من استخار واستبشر الخير في أحرج لحظاته :

ما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق ، وقد كان النبي ﷺ يعلمهم دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن ، كما مر بنا [١] ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إن العبد ليستخير الله فيخار له ، فيظل يتسخط فلو نظر في العاقبة لوجد أنه خيرٌ له ، فلا يخرب العبد إذا تعامل مع الله وأوقع حاجته بالله ، والناظر القاصر هو الذي يدعو صاحبه للتشكك في أمر الله وتسخط قضاءه ، وكأن الأمر يسير وفق أهواء البشر !! وواقع الأمر أن العبد قد لا يحسن النظر تحت

---

(١) الحديث رواه البخارى عن جابر رضي الله عنه وفيه «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إنى أستخير بعلمك** ...» الحديث .

قدمه ، فكيف يطلع على الغيب ، ولذلك كان لابد من قناعة ورضى ، فإذا أطلق العبد بصره وفق شرع الله وتحرر من قيود هواه اطمأنت نفسه ووثق بوعد الله ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .

ولم يغتر بالباطل والزيف مهما انتفش لقوله تعالى : ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) ﴾ .

[آل عمران : ١٩٦] .

ولقوله جل وعلا : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ [الرعد : ١٧] ، بل لم يطمئن لما في يد نفسه ، وكان كما قال أبو حازم عندما سُئل عن الزهد : « أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يد نفسك ، وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء ، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء » .

إن العبد الذي يستخير الله ويفوض أمره لله تنفتح أمامه

أبواب الرجاء والأمل، مما يحقق له التسلية وغنى النفس، قال تعالى: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ [الانشراح : ٥ - ٦] .

وقال تعالى : ﴿ **سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق : ٧] .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [**واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا**] ، فإذا نزل بهذا العبد المصيبة كان له فيها ثلاث نعم كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنها لم تكن بأكبر مما كانت ، وأنها لم تكن كانت في دينه ، وأنها لابد كائنة وقد كانت ، فيحمد الله ، ولا يتسخط ، ولا يتشكك في مشروعية صلاة الاستخارة ، بل إن ضاق به الوقت والحال ، قال : « **رب خر لي واختر لي** » [(١)] ،

(١) رواه الترمذى وضعفه ، ولكن يدخل ضمن معنى الدعاء الذى يكون به العبد على رجاء الإجابة .

فيتحقق له بذلك الخير في العاجل والآجل بإذن الله .

عاشراً : فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر :

صارت الآمال والطموحات والأهداف مادية طاغية ، انفصل بها الدين عن الدنيا ، والأرض عن السماء وبعض الساعات عن بعض ، وبعض الرجال عن بعض ، كما انفصل بها العلم عن العمل ، والدنيا عن الآخرة ، وعشنا حياة التشتت والضياع والحسرة والألم بعيداً عن دين الله ، فقد صارت الدنيا هي كل همنا ومبلغ علمنا ، ولذلك لم يتحقق لنا الشبع ولا غنى النفس .

وإليك هذه النصوص التي أوردها الإمام النووي في كتابه رياض الصالحين لتكون تذكرة لأولي الألباب وتوضيحاً لقيمة الزهد ، وفضل الفقر إذا صحابه الإيمان واليقين .

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) ﴾ [١] .

وقال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً (٤٦) ﴾ [٢] .

---

(١) سورة يونس الآية « ٢٤ » ، زخرفها وبهجتها بألوان النبات ، حصيداً : كالنبات المحصود بالمناجل . لم تغن : لم تمكث زروعها ولم تقيم .

(٢) سورة الكهف الآيات « ٤٥ ، ٤٦ » . هشيماً : يابساً متفتتاً . تذروه الرياح : تفرقه وتنسفه . الباقيات الصالحات : أعمال الخير التى تبقى ثمرتها، ويندرج فيها مافسرت به من الصلوات الخمس، وصيام رمضان ، وسبحان الله والحمد لله والله وأكبر ، والكلام الطيب .

وقال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الحديد الآية « ٢٠ » تكاثر : مباهاة وتطاول بالعدد والعُدد . أعجب الكفار : أعجب الزراع . يهيج : يمضى إلى أقصى غايته وييبس . يكون حطاماً : فتاتاً هشيماً متكسراً . ويلاحظ فى الآية التمثيل لهذه الحياة الدنيا العجيبة فى سرعة نقصها ، وذهاب نعيمها بعد إقبالها ، واغترار الناس بها ، بزوال خضرة النبات فجأة ، وذهابه حطاماً بعد ما كان غضاً .

(٢) سورة آل عمران الآية « ١٤ » . حب الشهوات : المشتهيات بالطبع . القناطير المقنطرة : الأموال الكثيرة والمضاعفة . المسومة : المعلمة. الأنعام : الإبل والبقر والضأن والماعز . الحرث : المزروعات . حسن مآب : أى المرجع الحسن .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) ﴾ (٣) .

والآيات في الباب كثيرة مشهورة .

---

(١) سورة فاطر الآية « ٥ » . تغرنكم الحياة : تخدعكم . الغرور : كل ما يغر ويخدع من شيطان وغيره .

(٢) سورة التكاثر الآيات « ١ – ٥ » . ألهاكم : شغلكم عن طاعة ربكم . التكاثر : التباهي بكثرة متاع الدنيا . حتى زرتم المقابر : أى بقيت الدنيا تشغلكم عن الآخرة حتى متم وقبرتم . لو تعلمون علم اليقين : لو تعلمون مآلكم علماً يقيناً ما ألهاكم شيء عن آخرتكم ، ولتزودتم للآخرة بصالح الأعمال .

(٣) سورة العنكبوت الآية « ٦٤ » . لهو ولعب : لذائذ ومتاع زائل وعبث باطل . لهى الحيوان : لهى دار الحياة الدائمة الباقية .

وأما الأحاديث فأكثر من أن تُحصر فننبه بطرف منها على ما سواه .

عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها ، فقدم بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة رضي الله عنه ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، ثم قال: [**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين**] ؟ فقالوا : أجل يارسول الله ، فقال : [**أبشروا وأملوا ما يسركم ،فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**] (١) « متفق عليه » .

(١) متفق عليه ، الحديث رواه البخارى فى كتاب فرض الخمس « باب الجزية والموادعة » والجزية والمغازي والرقاق ، واللفظ له ، ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله ، فقال : [**إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**] (١) « متفق عليه » .

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**إن الدنيا حُلوة خضرة ، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**] (٢) « رواه مسلم » .

وعن أنس رضي الله عنه قال أن النبي ﷺ قال : [**اللهم لا عيش إلا عيشُ الآخرة**] (٣) . « متفق عليه » .

---

(١) متفق عليه ، الحديث رواه البخارى فى الزكاة « باب الصدقة على اليتامى » والجهاد وغيرهما ، ومسلم فى الزكاة « باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا » .

(٢) الحديث رواه مسلم فى كتاب الرقائق « باب أكثر أهل الجنة الفقراء » .

(٣) الحديث رواه البخارى فى الرقاق والجهاد « باب التحريض على القتال » ومناقب الأنصار والمغازى ، ومسلم فى الجهاد « باب غزوة الأحزاب وهى الخندق » .

وعنه عن رسول الله ﷺ قال : [**يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ، ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله**] (١) « متفق عليه » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصبغ في النار صبغة ، ثم يُقال : يا بن آدم هل رأيت خيراً قطّ ؟ هل مرَ بك نعيم قطّ ؟ فيقول : لا والله يارب ! ويؤتى بأشدّ الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغُ صبغةً في الجنة ، فُيقال له : يا بن آدم هل رأيت بؤساً قطّ ؟ هل مرَ بك شدةٌ قطّ ؟ فيقول : لا والله ، ما مر بي بُؤس قطّ ، ولا رأيت شدّةَ قطّ**] (٢) « رواه مسلم » .

---

(١) أخرجه البخارى فى الرقاق « باب سكرات الموت » ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

(٢) الحديث رواه مسلم فى كتاب صفة القيامة والجنة والنار « باب صبغ أنعم أهل الدنيا فى النار » .

وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أُصبعه في اليمِّ فلينظر بمَ يرجع**] (١) « رواه مسلم » .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كَنَفَيْه ، فمر بجدي أسكٍّ ميت ، فتناوله فأخذ بأُذُنه ، ثم قال : [**أيُّكم يُحب أن يكون هذا له بدرهم ؟**] فقالوا : ما نُحبُّ أنه لنا بشيء ، وما نصنع به !؟ ثم قال : [**أتحبُّون أنه لكم ؟**] قالوا :والله لو كان حياً كان عيباً ، إنه أسكُّ ، فكيف وهو ميت ! قال : [**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**] (٢) « رواه مسلم » . قوله : كنفيْه : أي عن جانبيه ، والأسكُّ : الصغير الأُذن .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : : كنت أمشي مع النبي ﷺ

(١) الحديث رواه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها «باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة» .
(٢) رواه مسلم فى أول كتاب الزهد والرقائق .

في حرَّةٍ بالمدينة فاستقبلنا أُحد ، فقال : [**يا أبا ذر**] قلت : لبيك يا رسول الله . فقال : [**ما يسُرُّني أن عندي مثل أُحدٍ هذا ذهباً تمضي عليَّ ثلاثة أيام ، وعندي منه دينارٌ إلا شيء أرصدُ لدينٍ ، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا**] عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ثم سار فقال : [**إن الأكثرين هم الأقلُّون يوم القيامة إلا من قالَ بالمال هكذا وهكذا وهكذا**] عن يمينه وعن شماله ومن خلفه [**وقليل ماهم**] ! ثم قال لي : [**مكانك ! لا تبرح حتى آتيك**] . ثم انطلق في سواد الليل حتى توارى ، فسمعت صوتاً قد ارتفع فتخوفت أن يكون أَحدٌ عرض للنبي ﷺ ، فأردت أن آتيه ، فذكرت قوله : [**لا تبرح حتى آتيك**] فلم أبرح حتى أتاني فقلت : لقد سمعت صوتاً تخوفت منه ، فذكر له ، فقال : [**وهل سمعته؟**] قلت : نعم ، قال : [**ذاك جبريل أتاني فقال : من مات من أمتك لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة**] قلتُ : وإن زنى

وإن سرق ؟ قال : [**وإن زنى وإن سرق**] (١) « متفق عليه ، وهذا لفظ البخاري » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : [**لو كان لي مثل أُحد ذهباً لسرني ألا تمرَّ عليَّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيءٌ أرصدُهُ لدين**] (٢) « متفق عليه » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم**] (٣) « متفق عليه » .

وفي لفظ مسلم ، وفي رواية البخاري : [**إذا نظر**

---

(١) الحديث رواه البخارى فى الرقائق « باب المكثرون هم المقلون » و « باب ما أحب أن لى مثل أحد ذهباً » والاستقراض والاستئذان ، ومسلم فى الزكاة « باب الترغيب فى الصدقة » .

(٢) الحديث رواه البخارى فى الرقاق « باب المكثرون هم المقلون وغيره » وفى الاستقراض والاستئذان، ومسلم فى الزكاة « باب الترغيب فى الصدقة » .

(٣) الحديث رواه البخارى فى الرقاق « باب من ينظر إلى من هو أسفل منه » ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

أحدكم إلى من فُضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه] .

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ، إن أعطي رضى ، وإن لم يُعط لم يرض]** (١) « رواه البخاري » .

وعنه رضي الله عنه قال: [لقد رأيت سبعين من أهل الصُّفَّة، ما منهم رجل عليه رداء: إما إزار وإما كساء ، قد ربطوا في أعناقهم ، فمنها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين ، فيجمعه بيده ، كراهية أن ترى عورته] (٢) « رواه البخاري » .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر]** (٣) « رواه مسلم » .

---

(١) الحديث رواه البخارى فى الجهاد « باب الحراسة » وفى الرقاق .
(٢) الحديث رواه البخارى في المساجد « باب نوم الرجال فى المسجد » .
(٣) الحديث رواه مسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبيّ فقال : [**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**] .

وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخُذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » [١] « رواه البخاري » .

قالوا في شرح هذا الحديث : معناه : لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً ، ولا تُحدِّث نفسك بطول البقاء فيها ، ولا بالاعتناء بها ، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه ، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله . وبالله التوفيق .

وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال :

---

(١) الحديث : رواه البخارى فى الرقاق « باب قول النبى ﷺ كن فى الدنيا ... إلخ » .

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله دُلني على عملٍ إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس ، فقال: [**ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**] (١) « حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنةٍ » .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : ذكر عُمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا ، فقال : [لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ، ما يجد من الدَّقل ما يملأ به بطنه] (٢) « رواه البخاري » . الدَّقَل : بفتح الدال المهملة والقاف : ردئ التَّمْر .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : [تُوفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبدٍ إلا شطر شعِير في رفٍّ لي

(١) الحديث رواه ابن ماجه فى الزهد ، وأخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير ، والحاكم فى الرقائق من مستدركه .
(٢) الحديث رواه مسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

فأكلتُ منه حتى طال عليَّ ، فكلتُهُ فَفَنِى] (١) . « رواه البخاري » .

قولها : « شطرُ شَعِير » : أي شيء من شعير ، كذا فسَّرهُ الترمذي .

وعن عمرو بن الحارث أخي جويرية بنت الحارث أم المؤمنين ﷺ قال : ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمَةً ، ولا شيئاً إلا بغلتهُ البيضاء التي كان يركبها ، وسلاحهُ ، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة (٢) « رواه البخاري » .

وعن خباب بن الأرت ﷺ قال : هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله تعالى ، فوقع أجرنا على

(١) الحديث رواه البخارى فى الجهاد « باب نفقة نساء النبى ﷺ بعد وفاته» والرقاق « باب فضل الفقر » ، ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .
(٢) الحديث رواه البخارى فى الوصايا « باب الوصايا » والجهاد « باب بغلة النبى ﷺ البيضاء ، وغيره » والمغازى « باب مرض النبى ﷺ ووفاته » .

الله ، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً ، منهم مصعب بن عُمير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قُتل يوم أُحد ، وترك نمرة ، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطينا بها رجليه بدا رأسه ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نُغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئاً من الإذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها [١] « رواه البخاري » .

« النمرة » كساء ملون من صوف ، وقوله :« أينعت » أي نضجت وأدركت وقوله : « يهدِبها » هو بفتح الياء وضم الدال وكسرها لغتان : أي يقطفها ويجتنيها ، وهذه استعارة لما فتح الله تعالى عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها .

وعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: [**لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا**] [٢]

(١) الحديث رواه البخارى فى الجنائز « باب إذا لم يجد كفناً إلا ما يوارى رأسه أو قدميه غطى رأسه » وفى فضائل الصحابة والمغازى والرقاق ، ومسلم فى الجنائز « باب كفن الميت » .

(٢) الحديث رواه الترمذى فى الزهد « باب لا تتخذوا الضيعة فترغبوا فى الدنيا» رقم : ٢٣٢٩ .

« رواه الترمذي وقال حديث حسن » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصّاً لنا ، فقال : [**ما هذا ؟**] فقلنا : قد وهى ، فنحن نصلحه ، فقال : [**ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك**] (١) « رواه أبو داود والترمذي بإسناد البخاري ومسلم ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح »

وعن كعب بن عياض رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إن لكل أمة فتنةً ، وفتنة أمتي : المال**] (٢) « رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح » .

وعن أبي عمرو يقال أبو عبد الله ، ويقال أبو ليلى ،

(١) الحديث رواه الترمذى فى الزهد رقم ٢٢٣٦ وأبو داود فى كتاب الأدب « باب ما جاء فى البناء » ومعنى بإسناد البخارى ومسلم ، أى برجال رويا عنهم ، فهو على شرطهما .

(٢) الحديث رواه الترمذى فى الزهد « باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة فى المال» رقم ٢٣٣٧ .

عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : [**ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيتٌ يسكنه ، وثوبٌ يواري عورته ، وجِلفُ الخبز ، والماء**] (١) .

قال الترمذي : سمعت أبا داوود سليمان بن سالم البلخي يقول : سمعت النضر بن شُميل يقول : الجِلْفُ : الخبز ليس معه إدام ، وقال غيره : هو غليظ الخُبز . وقال الهروي : المراد به هنا وعاء الخبز : كالجوالق والخرج ، والله أعلم .

وعن عبد الله بن الشِّخِّير « بكسر الشِّين والخاء المشددة المعجمتين » رضي الله عنه أنه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ : ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** ﴾ قال: [**يقول ابن آدم: مالي مالي! وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت ، أو تصدّقت فأمضيت !؟**] (٢) «رواه مسلم » .

(١) الحديث رواه الترمذى الزهد « باب ليس لابن آدم حق فيما سوى خصال ثلاث » رقم ٢٣٤٢ .
(٢) الحديث رواه مسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : قال رجل للنبي ﷺ يا رسول الله : والله يارسول الله إني لأحبُّك ، فقال : [**انظر ماذا تقول ؟**] قال : والله إني لأحبُّك ، ثلاث مرات ، فقال : [**إن كنت تحبُّني فأعدَّ للفقر تجفافاً ، فإن الفقر أسرع إلى من يُحبُّني من السَّيل إلى منتهاه**] (١) ، « رواه الترمذي وقال حديث حسن » .

« التجفاف : بسكر التاء المُثناة فوق وإسكان الجيم وبالفاء المُكررة ، وهو شيء يلبسه الفرَس ليُتقى به الأذَى ، وقد يلبسه الإنسان .

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : [**ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**] (٢) ، « رواه

---

(١) الحديث رواه الترمذى فى الزهد « باب ما جاء فى فضل الفقر » رقم ٢٣٥١ .

(٢) الحديث رواه الترمذى فى الزهد « باب ماجاء فى معيشة أصحاب النبى ﷺ » رقم ٢٣٦٧ .

الترمذي وقال : حديث حسن صحيح » .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا يارسول الله : لو اتخذنا لك وطاءً ، فقال : [**ما لي وللدنيا ؟ ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها**] (١) ، « رواه الترمذي وقال حديث صحيح » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ : [**يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام**] (٢) ، « رواه الترمذي وقال حديث صحيح » .

وعن ابن عباس وعمران بن الحُصين رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال : [**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء** ،

(١) الحديث رواه الترمذى فى الزهد « باب ما أنا فى الدنيا إلا كراكب » رقم ٢٣٧٨ .

(٢) الحديث رواه الترمذى فى الزهد « باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم » رقم ٢٣٥٢ .

واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء] [١] ، « متفق عليه من رواية ابن عباس ، ورواه البخاري أيضاً من رواية عمران ابن الحصين » .

وعن أُسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : [**قمت على باب الجنة فكان عامَّة من دخلها المساكين ! وأصحاب الجدِّ محبوسون ! غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار]** [٢] ، « متفق عليه » .

« والجد » : الحظ والغنى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [**أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيدٍ : ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله**

(١) الحديث رواه البخارى فى بدء الخلق « باب ما جاء في صفة الجنة » وفى النكاح والرقاق ، ومسلم فى كتاب الرقاق « باب أكثر أهل الجنة الفقراء » .

(٢) الحديث رواه البخارى فى النكاح « باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها إلا بإذنه » والرقاق ، ومسلم فى أول كتاب الرقاق « باب أكثر أهل الجنة الفقراء » .

باطلُ] [(١)] ، « متفق عليه » .

الحادي عشر : فضل الجوع وخشونة العيش :

قال الله تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) ﴾ [(٢)] .

وقال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [(٣)] .

---

(١) الحديث رواه البخارى فى المناقب « باب أيام الجاهلية » وفى الأدب والرقاق وغيرهما ، ومسلم فى كتاب الشعر .

(٢) سورة مريم الآيات « ٥٩ ، ٦٠ » . خلف : بسكون اللام ، تستعمل فى العقب السوء ، وبفتح اللام فى الصالح ، يقال : خَلَف صدق ، وخلف سوء . غياً : شراً .

(٣) سورة القصص الآيات « ٧٩ ، ٨٠ » . لذو حظ عظيم : صاحب غنى كبير . أوتوا العلم : أى العلم النافع ، وهو العلم بأحوال الآخرة وما أعد الله لصالحى عباده ، ويلكم : دعاء بالهلاك ، استعمل للزجر عما لا يرتضى .

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ (٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : [**ما شبع آل محمد ﷺ من خُبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض!**] (٣) ، وفي رواية : [**ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البُر ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قبض**] .

---

(١) سورة التكاثر الآية « ٨ » . عن النعيم : أى لتسألن عن النعيم الذى ألهاكم عن دين الله ، وقيل : عن كل نعيم .

(٢) سورة الإسراء الآية « ١٨ » . العاجلة : الدنيا ونعيمها . عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد : قيل المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة ، لأنه لا يجد كل متمن متمناه ، ولا كل واحد جميع ما يهواه ، وليعلم أن الأمر بمشيئة الله ، يصلاها : يدخلها ويقاسى حرها . مدحوراً : مطروداً من رحمة الله تعالى .

(٣) الحديث رواه البخارى فى كتاب الأطعمة « باب ما كان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون » والرقاق « باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه» ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقاق .

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول : [**والله يا ابن أختي ، إن كنا ننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين وما أُوقد في أبيات رسول الله ﷺ نارٌ !**] قُلت: يا خالة فما كان يُعيشكم؟ [**قالت : الأسودان : التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منايحُ ،وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا**] (١) « متفق عليه» .

وعن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل ، وقال : [**خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خُبز الشعير**] (٢). « رواه البخاري » مصلية بفتح الميم : أي مشوية .

---

(١) الحديث رواه البخارى فى فاتحة كتاب الهبة وفى الرقاق « باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه» ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

(٢) الحديث رواه البخارى فى الأطعمة « باب ما كان للنبى ﷺ وأصحاب يأكلون » .

وعن أنس رضي الله عنه قال : [**لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات**] (١) ، « رواه البخاري » وفي رواية له : [**ولا رأى شاة سميطاً بعينه قط**] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدَّقَلِ ما يملأ به بطنه] (٢) ، « رواه مسلم » الدَّقَلُ : تمر ردى .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : ما رأى رسول الله ﷺ النقيَّ من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى . فقيل له : هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخِل ؟ قال : ما رأى رسول الله ﷺ مُنخلاً من حين ابتعثه الله

---

(١) الحديث رواه البخارى فى الأطعمة « باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة » وباب «ماكان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون » ، والرواية الأخرى فى الرقاق « باب فضل الفقر » ، و باب «كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه » .

(٢) الحديث رواه مسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

تعالى حتى قبضه الله تعالى . فقيل له : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ ، قال : كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقى ثريناه] (١) ، «رواه البخاري » .

قوله : النَّقِيّ : هو بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء : وهو الخبز الحوَّاري ، وهو الدَّرمك . قوله : ثريناه : هو بثاء مُثلثةٍ ثم راء مشددة ثم ياء مُثناه من تحت، ثم نونٍ : أي بللناه وعجناه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال : [**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟**] قالا : الجوع يارسول الله ﷺ . قال : [**وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ! قوما**] ، فقاما فأتي رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته ، فلما رأته المرأة قالت : مرحباً

(١) الحديث رواه البخارى فى الأطعمة « باب النفخ فى الشعير » وباب « ما كان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون » .

وأهلاً . فقال رسول الله ﷺ : [**أين فلان ؟**] قالت : ذهب يستعذب لنا الماء . إذا جاء الأنصاري ، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ، ثم قال : الحمد لله ، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني ، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسْرٌ وتمرٌ ورطبٌ فقال : كلوا . وأخذ المديَة ، فقال له رسول الله ﷺ : [**إياك والحلوب**] ، فذبح لهم ، فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العِذق وشربوا ، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما : [**والذي نفسي بيده لتُسألُن عن هذا النعيم يوم القيامة ! أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم**] (١) . «رواه مسلم» .

قولها : يستعذب : أي يطلب الماء العذب وهو الطيب . والعِذق : بكسر العين وإسكان الذّال المعجمة ، وهو الكباسة

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب الأشربة « باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك » .

وهي الغصن، والـمُديَة بضم الميم وكسرها هى السكين ، والحلوب : ذات اللبن ، والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لا سؤال توبيخ وتعذيب ، والله أعلم .

وهذا الأنصاري الذي أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان ، كذا جاء مبيناً في رواية الترمذي وغيره .

وعن خالد بن عمر العدوي قال : خطبنا عُتبة بن غزوان – وكان أميراً على البصرة – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بِصرمٍ ،وولت حذّاء ، ولم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء يتصابُّها صاحبها! وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، فإنه قد ذكر لنا أن الحجَرَ يُلقى من شفير جهنم ، فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً ! والله لتملأن ! أفعجبتم ؟ ولقد ذُكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليها يومٌ وهو

كظيظٌ من الزّحام . ولقد رأيتني سابع سبعةٍ مع رسول الله ﷺ ما لنا طعامٌ إلا ورق الشجر ، حتى قَرِحَت أشداقُنا فالتقطت بُردة ، فشققتها بيني وبين سعد بن مالك ، فأتزرت بنصفها وأتزر سعد بنصفها ، فما أصبح اليوم منا أحدٌ إلا أصبح أميراً على مِصْرٍ من الأمْصار ، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً ، وعند الله صغيراً] (١) ، «رواه مسلم » .

قوله : آذَنَتْ هو بمد الألف : أي أعلمتْ ، وقوله : بِصُرمٍ » هو بضم الصاد : أي بانقطاعها وفنائها . « وولت حذَّاء » هو بحاء مهملةٍ مفتوحةٍ ، ثم ذال معجمة مشددةٍ ، ثم ألف ممدودةٍ : أي سريعة . « والصُّبابَةُ » بضم الصاد المهملة – البقية اليسيرة . وقوله : يتصابُّها هو بتشديد الباء قبل الهاء : أي يجمعها . و الكَظيظُ : الكثير المُمتلئُ .

(١) الحديث رواه مسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

وقوله : قَرِحَت هو بفتح القاف وكسر الراء : أي صارت فيها قُرُوحٌ .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : [**أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساءً وإزاراً غليظاً . قالت : قُبِضَ رسول الله ﷺ في هذين**] (١) ، « متفق عليه » .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : [إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعامٌ إلا ورق الحُبْلَة وهذا السَّمُرُ حتى إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ، ما له خِلْطٌ] (٢) ، « متفق عليه » .

---

(١) الحديث رواه البخارى فى الجهاد « باب ما ذكر من ورع النبى ﷺ وعصاه وسيفه » واللباس «باب الأكسية والخمائص » ومسلم فى اللباس « باب التواضع فى اللباس » .

(٢) الحديث رواه البخارى فى فضائل الصحابة « باب مناقب سعد بن أبى وقاص » وفى الأطعمة « باب ما كان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون » وفى الرقاق « باب كيف كان عيش النبى ﷺ » ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

الحُبْلَة : بضم الحاء المهملة وإسكان الباء الموحدة ، وهي والسمرُ نوعان معروفان من شجر البادية .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [**اللهم اجعل رزق آل محمد قُوتاً**] (١) ، « متفق عليه » .

قال أهل اللغة والغريب:معنى قُوتاً : أي ما يُسدُّ الرمق .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر بي النبي ﷺ فتبسم حين رآني ، وعرف ما في وجهي وما في نفسي ، ثم قال : [**أبا هرّ**] ، قلت : لبيك يارسول الله ، قال : [**الحقْ**] ، ومضى فاتبعته ، فدخل فاستأذن فأذن لي فدخلت ، فوجد

(١) الحديث رواه البخارى فى كتاب الرقاق « باب كيف كان عيش النبى ﷺ » ومسلم فى كتاب أوائل كتاب الزهد والرقائق .

لبناً في قدح ، فقال : [**من أين هذا اللبن ؟**] قالوا : أهداه لك فلان – أو فلانة – قال : [**أبا هر**] ، قُلتُ : لبيك يارسول الله ، قال : [**الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي**] ، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، وكان إذا أتتهُ صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها . فساءني ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصُّفَّة ! كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ بُدٌّ . فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا ، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: [**أبا هرّ**] ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : [**خُذ فأعطهم**] ، قال : فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرَّجُل فيشرب حتى يروى ثم يردُّ عليَّ القدح فأعطيه الآخر

فيشرب حتى يروى ، ثم يردُّ عليَّ القدح حتى انتهيت إلى النبى ﷺ ، وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليَّ فتبسم فقال : [**أبا هرّ**] قلت: لبيك يارسول الله ، قال : [**بقيت أنا وأنت**] ، قلتُ: صدقت يا رسول الله ، قال : [**اقعد فاشرب**] فقعدت فشربت . فقال : [**اشرب**] ، فشربت ، فما زال يقول : [**اشرب**] حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً، قال : [**فأرني**] ، فأعطيته القدح ، فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة] [١] ، « رواه البخاري » .

وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : [**لقد رأيتني وإني لأخِرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حُجرة عائشة رضي الله عنها مغشيّاً عليَّ ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عُنقي ويرى أني مجنونٌ ، وما بي من جنونٍ ،**

(١) الحديث رواه البخارى فى الرقاق « باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه » .

ما بي إلا الجوع] (١) ، « رواه البخاري » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: [**توفي رسول الله ﷺ ودرعهُ مرهونةٌ عند يهوديّ في ثلاثين صاعــاً من شعيـر**] (٢) ، « متفق عليه » .

وعن أنس رضي الله عنه قال : [رهنَ النبي ﷺ درعه بشعير ، ومشيتُ إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالة سنخة ، ولقد سمعته يقول : [**ما أصبح لآل محمدٍ صاعٌ ولا أمسي ، وإنهم لتسعة أبيات**] (٣) ، « رواه البخاري » .

« الإهَالةُ » : بكسر الهمزة: الشحم الذائب، والسَّنِخةُ : بالنون والخاء المعجمعة وهي المتغيرة .

---

(١) الحديث رواه البخارى فى كتاب الاعتصام « باب ما ذكر النبى ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم وما أجمع عليه الحرمان » .

(٢) الحديث رواه البخارى فى كتاب الجهاد « باب ما قيل فى درع النبى » والمغازى ، ومسلم فى البيوع « باب الرهن وجوازه فى الحضر كالسفر » بلفظ آخر .

(٣) الحديث رواه البخارى فى البيوع « باب شراء النبى ﷺ بالنسيئة » والرهن « باب الرهن فى الحضر »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : [**لقد رأيت سبعين من أهل الصُّفة ما منهم رجل عليه رداءٌ إما إزارٌ وإما كساءٌ ، قد ربطوا في أعناقهم ، منها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين ، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته**] (١) ، « رواه البخاري » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : [**كان فِراشُ رسول الله ﷺ من أدم حشوهُ ليف**] (٢) ، « رواه البخاري » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كُنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجلٌ من الأنصار فسلم عليه ، ثم أدبر الأنصاري ، فقال رسول الله ﷺ : [**يا أخا الأنصار ، كيف أخي سعد بن عبادة ؟**] فقال : صالح ، فقال رسول الله ﷺ : [**من يعوده منكم ؟**] ، فقام وقمنا معه

(١) الحديث رواه البخارى فى أبواب المساجد «باب نوم الرجال فى المسجد » .
(٢) الحديث رواه البخارى فى الرقائق « باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه » .

ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خِفافٌ ولا قلانسُ ، ولا قُمُصٌ ، نمشي في تلك السِّباخِ حتى جئناه، فاستأخرَ قومه من حولِه حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه] (١) « رواه مسلم » .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : [**خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم**] ، قال عمران : فما أدري قال النبي ﷺ مرتين أو ثلاثاً ، [**ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ، ولا يؤتمنون ، وينذرون ، ولا يفون ، ويظهر فيهم السِّمَنُ**] (٢) ، « متفق عليه » .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**يا بن آدم إنك إن تبذُل الفضل خير لك وإن تمسكه**

---

(١) الحديث رواه مسلم في الجنائز « باب عيادة المرضى » .
(٢) الحديث رواه البخاري في الشهادات « باب لا يشهد على شهادة جور » وفضل الصحابة ، ومسلم في فضائل الصحابة « باب أفضل الصحابة ثم الذين يلونهم » .

شرٌّ لك ، ولا تُلام على كفافٍ ، وابدأ بمن تعول] [١] ، « رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح » .

وعن عبيد الله بن حصن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**] [٢] ، « رواه الترمذي وقال : حديث حسن » .

« سِربِهِ » : بكسر السين المهملة : أي نفسه ، وقيل : **قومه** .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : [**لقد أفلح من أسلم ، وكان رزقه كفافاً**

---

(١) الحديث رواه الترمذى فى كتاب الزهد « باب اليد العليا خير من اليد السفلى » رقم ٢٣٤٤ .

(٢) الحديث رواه الترمذى فى كتاب الزهد « باب من بات آمناً فى سربه » رقم ٢٣٤٧ .

وقنعهُ الله بما آتــاه] [(١)] ، « رواه مسلم » .

وعن أبي محمد فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سـمع رسـول الله يقـول : [**طوبى لمن هُدِىَ للإســلام وكــان عيشــهُ كفافاً ، وقنــع**] [(٢)] ، « رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح » .

وعن ابن العبـاس رضي الله عنهما قـال : [كـان رسـول الله ﷺ يبيت الليالي المُتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان أكثر خُبزهم خبز الشعير] [(٣)] ، « رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح » .

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخرُّ رجـال من قـامـتـهـم في الصــلاة من

(١) الحديث رواه مسلم فى كتاب الزكاة « باب فى الكفافة والقناعة » .
(٢) الحديث رواه الترمذى فى كتاب الزهد « باب ماجاء فى الكفاف » رقم ٢٣٥٠ .
(٣) الحديث رواه الترمذى فى كتاب الزهد بـاب « ما جـاء فى معيشة النبى ﷺ » رقم ٢٣٦١ .

الخَصاصَة – وهم أصحاب الصُّفة – حتى يقول الأعراب : هؤلاء مجانينُ ! فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال : [**لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة**] [١] ، « رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح » .

« الخَصاصةُ » : الفاقة والجوع الشديد .

وعن أبي كريمة المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه . بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه ، وثُلثٌ لنفسه**] [٢] ، « رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح » .

---

(١) الحديث رواه الترمذى فى الزهد « باب ما جاء فى معيشة أصحاب النبى ﷺ » رقم ٣٣٦٩ .

(٢) الحديث رواه الترمذى فى أبواب الزهد « باب ماجاء فى كراهية كثرة الأكل » رقم ٢٣٨٠ .

وعن أبي أُمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي رضي الله عنه قال : ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوماً عنده الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : [**ألا تسمعون ؟ ألا تسمعون ؟ إن البذاذة من الإيمان ، إن البــذاذة من الإيمان**] [(١)] ، يعني التَّقحُّل . « رواه أبو داود » .

« البذاذةُ » : بالباء الموحدة والذالين المعجمتين ، وهي رثاثةُ الهيئة وترك فاخر اللباس ، وأما « التَّقَحُّلُ » : فبالقاف والحاء ؛ قال أهل اللغة : المُقتحل هو الرجل اليابس الجِلدِ من خُشونة العيش وترك الترفُّه .

وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه نتلقي عيراً لقريش، وزودنا جِرَاباً من تمر لم يجد لنا غيره . فكان أبو عبيدة يُعيطنا تمرةً تمرةً . فقيل : كيف كنتم تصنعون بها؟ قال :

---

(١) الحديث رواه أبو داود فى أول كتاب الترجل .

نمصُّها كما يمص الصبيُّ ، ثم نشرب عليها من الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبُلُّهُ بالماء فنأكلُهُ . قال : وانطلقنا إلى ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا هي دابة تُدعى العنبَرَ ، فقال أبو عبيدة : ميتةٌ : ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم فكلوا ، فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاث مئة حتى سَمِنَّا . ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينِهِ بالقلال الدهن ، ونقطع منه الفِدَرَ كالثّور أو كقدر الثور، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاث عشرة رجل فأقعدهم في وقب عينِهِ ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ، ثم رحل أعظم بعير معنا ، فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق ، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له ، فقال: [**هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا ؟**] فأرسلنا إلى

رسول الله ﷺ منه فأكلـه] [١] ، « رواه مسلم » .

« الجِرَاب » : وعـاءٌ من جلدٍ مـعـروفٌ ، وهو بكسـر الجيم وفتحها ، والكسر أفصح . قوله : « نمصُّـها » بفتح الميم . « والخبـط » ورق شجـر معـروف تأكلـه الإبـل . « والكثـيبُ » التلُّ من الرمل . « والوَقْبُ » بفـتح الواو وإسكان القاف ، وبعدها بـاءٌ موحـدةٌ ، وهو نقـرة العين . « والقلالُ » : الجِرَارُ . « والفِدَرُ » بكسر الفاء وفتح الدال : القطعُ . « رحَل البعيرَ » بتخفيف الحاء : أي جعل عليه الرَّحلَ . « الوشائقُ » بالشين المعجمة والقاف : اللحم الذي اقتطع لِيُقَدَّد منه ، والله أعلم .

وعن أسـمـاء بنت يزيد رضي الله عنها قـالـت : [**كـان كم قميص رسول الله ﷺ إلى الرُّصغ**] [٢] ، « رواه الترمذي » ،

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب الصيد القافلة من الجمال التي تحمل الطعام العنبر : سمة يبلغ طولها خمسون ذراعاً .

(٢) رواه أبو داود في كتاب اللباس « باب ما جاء في القميص » والترمذي في كتاب اللباس « باب ماجاء في القميص » رقم ١٧٦٥ .

وقال حديث حسن » .

« الرُّصْغِ » بالصاد ، والرسغ بالسين أيضاً : هو المفصل بين الكفِّ والساعد .

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال: [إنا كنا يوم الخندق نحفرُ ، فعرضت كُديةٌ شديدة ، فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا : هذه كُدية عرضت في الخندق ، فقال : [**أنا نازلٌ**] ثم قام وبطنه معصوبٌ بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبي ﷺ المِعْوَلَ فضرب فعاد كثيباً أَهْيَلَ أو أَهْيَمَ ، فقلت يارسول الله : ائذن لي إلى البيت ، فقُلت لإمرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ، ما في ذلك صبرٌ ، فعندك شيء ؟ فقالت : عندي شعير وعناقٌ ، فذبحتُ العناق وطحنتُ الشعير ، حتى جعلنا اللحم في البرمة ، ثم جئتُ النبي ﷺ والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافيِّ قد كادت تنضجُ ، فقلت: طُعيم لي ، فقم أنت يارسول الله ورُجل أو رجُلان .

قال : [**كم هو ؟**] فذكرت له ، فقال : [**كثير طيب، قُل لها لا تنزع البُرمة ولا الخُبز من التنور حتى آتى**] فقال : [**قوموا**] فقام المهاجرون والأنصار، فدخلت عليها فقلت : ويحك ، قد جاء النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار ومن معهم ، قالت : هل سألك ؟ قُلت : نعم . قال : [**ادخلوا ولا تضاغطُوا**] فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البُرمة ، والتنُّور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع ، فلم يزل يكسر ويغرف حتى شبعوا وبقى منه ، فقال: [**كُلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة**] (١)، « متفق عليه » .

وفي رواية : قال جابر رضي الله عنه : [لما حُفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً، فانكفأتُ إلى امرأتي فقلت: هل عندي شيء ؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً ،

(١) الحديث رواه البخارى فى المغازى « باب غزوة الخندق » ومسلم فى كتاب الأشربة «باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك » .

فأخرجت إليَّ جراباً فيه صاعٌ من شعير ، ولنا بُهَيْمَةٌ داجنٌ فذبحتُها ، وطحنت الشعير ففرَغتْ إلى فراغي ، وقطعتها في بُرمتها ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه ، فجئت فساررتُه ، فقلت : يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنت صاعاً من شعير ، فتعال أنت ونفرٌ معك، فصاح رسول الله ﷺ فقال: [**يا أهل الخندق ، إن جابراً قد صنــع سُوراً فحيهلاً بكم**] فقال النبي ﷺ : [**لا تُنزلُنَّ بُرمتكم ، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء**] ، فجئت وجاء النبي ﷺ يقدم الناس حتى جئتُ امرأتي فقالت : بك وبَكَ ! فقلتُ : قد فعلت الذي قلت ، فأخرجت عجيناً فبسق فيه وبارك ، ثم عمد إلى بُرمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : [**ادعى خابزةً فلتخبزْ معك ، واقدحي من بُرمتكم ولا تُنزلُوها**] ، وهم ألفٌ ، فأُقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هى ، وإن عجيننا ليخبز كما هو] .

قوله : « عرضت كُدية » : بضم الكاف وإسكان الدال والياء المُثناة تحت : وهى قطعة غليظة صُلبة من الأرض لا يعمل فيها الفأس . و« الكثيبُ » : أصله تل الرمل ، والمراد هنا صارت تراباً ناعماً ، وهو معنى « أهيل » . و« الأثافيُّ » : الأحجار التي تكون عليها القدر ، و « تضاغطوا » تزاحمُوا . و« المجاعة » : الجوع ، وهو بفتح الميم . و« الخمصُ » بفتح الخاء المجمعة والميم : الجوع . و « انكفأتُ » : انقلبت ورجعتُ . و « البهيمة » بضم الباء تصغير بهمه وهي العناق بفتح العين، و الداجن هي التي ألفت البيت . و « السُّورُ » : الطعام الذي يُدعى الناس إليه ؛ وهو بالفارسية . و« حيَّهَلاَ » : أي تعالوا . وقولها : « بِكَ بِكَ» أي خاصمتهُ وسبتهُ ، لأنها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفيهم ، فاستحيت وخفى عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه المعجزة الظاهرة ، والآية الباهرة . « بَسَقَ » : أي بصق ؛ ويقال أيضاً : بَزَقَ – ثلاث لغات –

« وعـمـد » بفـتح الميم : أي قـصـد . و « أقـدحي » : أي اغرفِي ؛ والمِقدحةُ : المغرفة ، و« تغطُّ » أي لغليانها صوتٌ ، والله أعلم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو طلحة لأُم سليم : قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ فقالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخذت خِماراً لها ، فلفتِ الخبز ببعضه ، ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : [**أرسلك أبو طلحة ؟**] فقلت : نعم، فقال: [**ألطعام؟**] ، فقلت نعم ، فقال رسول الله ﷺ : [**قوموا**] فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة ، فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أُم سُليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس

وليس عندنا ما نطعمهم ؟ فقالت : الله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا ، فقال رسول الله ﷺ : [**هلمي ، ما عندك يا أم سُليم**] ، فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ فَفُتَّ وعصرت عليه أم سُليم عُكَّةً فآدمته ، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : [**ائذن لعَشرة**] فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : [**ائذن لعشرة**] ، فأذن لهم فأكلوا ثم خرجوا . ثم قال : [**ائذن لعَشرة**] حتى أكل القوم كُلهم وشبعوا ، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون] ، « متفق عليه » .

وفي رواية : [فما زال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ، ثم هيأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها] .

وفي رواية : [فأكلوا عشرة عشرة ، حتى فعل ذلك

بثمانين رجلاً ، ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت ، وتركوا سُوراً] . وفي رواية :[ثم أفضلوا مابلغوا جيرانهم] .

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه قال : جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه ، وقد عصب بطنه بعصابة ، فقلت لبعض أصحابه : لم عصب رسول الله ﷺ بطنه ؟ فقالوا : من الجوع ، فذهبت إلى طلحة - وهو زوج أم سُليم بنت مِلحان - فقلت : يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ عصبَ بطنه بعصابةٍ ، فسألت بعض أصحابه ، فقالوا : من الجوع . فدخل أبو طلحة على أمي فقال : هل من شيء ؟ قالت : نعم ، عندي كِسَرٌ من خبز وتمراتٌ ، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه ، وإن جاء آخر معه قلَّ عنهم ، وذكر تمام الحديث] [1] .

---

(١) الحديث رواه البخارى في الأنبياء « باب علامات النبوة فى الإسلام » وفى المساجد والأطعمة والأيمان والنذور ، ومسلم فى الأشربة « باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك » .

الثاني عشر: القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة:

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) ﴾ (٣) .

---

(١) سورة هود الآية « ٦ » . دابة : كل ما يدب على الأرض ، والمراد : جميع الحيوان الذى يحتاج إلى رزق .

(٢) سورة البقرة الآية « ٢٧٣ » . للفقراء : أى الصدقات للفقراء ، احصروا : حبسوا أنفسهم للجهاد ، ضرباً فى الأرض : سفراً للتجارة . الجاهل : أى الذى يجهل حالهم . التعفف : عدم السؤال . بسيماهم : ما يظهر عليهم من أثر الجهد والضيق . إلحافاً : إلحاحاً ، والمراد كما هو ظاهر من سياق الآية لا يسألون أبداً .

(٣) سورة الفرقان الآية « ٦٧ » يسرفوا : يفرطوا فى الإسراف ، وهو الإفراط فى المباحات . يقتروا : يضيقوا فى النفقة . قواماً : وسطاً واعتدالاً كل بحسب طاقته وعياله .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) ﴾ .

[الذاريات : ٥٦ – ٥٧] .

وأما الأحاديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [**ليس الغنى عن كثرة العَـرَضِ ، ولكـن الغنى غنى النفس**] (١) .

« متفق عليه » .

« العَرَضُ » : بفتح العين والرّاء : هو المال .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : [**قـد أفلـح من سلم ، ورُزِق كفـافاً ، وقنعـهُ الله بمـا آتاهُ**] (٢) . « رواه مسلم » .

---

(١) الحديث رواه البخارى فى كتـاب الرقـاق « باب الغنى غنى النفس » ومسلم فى الزكاة « باب ليس الغنى عن كثرة العرض » .

(٢) الحديث رواه مسلم فى الزكاة « باب الكفاف والقناعة » .

وعن حكيم بن حزان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال : [**ياحكيم ، إن هــذا المال خـضــرٌ حلو : فـمن أخـذه بسخاوة نفس بُورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفسٍ لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبعُ ، واليد العليا خير من اليد السلفى**] ، قال حكيم : فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أرزأُ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا . فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً ؛ ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله ، فقال : يا معشر المسلمين أُشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقهُ الذي قسمه الله له في هذا الفيء ، فيأبي أن يأخذه ، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي ﷺ حتى تُوفى] [1] « متفق عليه » .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الوصايا والزكاة « باب الاستعفاف عن المسألة » والرقاق والخمس ، ومسلم فى الزكاة « باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى » .

« يَرزأْ » براء ثم زاى ثم همرة : أي لم يأخذ من أحد شيئاً ، وأصل الرُّزء : النقصان : أي لم ينقص أحد شيئاً بالأخذ منه. و « إشراف النفس » تطلعها وطمعها بالشيء . و « سخاوة النفس » : هي عدم الإشراف إلى الشيء ، والطمع فيه ، والمبالاة به والشرِه .

وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ونحن ستة نفرٍ ، بيننا بعير نتعقبه فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدمي ، وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا من الخِرقِ ، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصبُ على أرجلنا من الخِرَق ، قال أبو بردة : فحدث أبو موسى بهذا الحديث ، ثم كره ذلك وقال : ما كنت أصنع بأن أذكره ! « قال » : كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه] [1] . « متفق عليه » .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى المغازى « باب غزوة ذات الرقاع » ومسلم فى كتاب الجهاد والسير « باب غزوة ذات الرقاع » .

وعن عمرو بن تَغْلِبَ - بفتح التاء المثناه فوق ، وإسكان الغين المعجمة ، وكسر اللام - رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتى بمال أو سبي ، فقسمه فأعطى رجالاً وترك رجالاً ، فبلغه أن الذين ترك عتبوا ؛ فحمد الله ثم أثنى عليه ثم قال: [**أما بعد ، فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحبُّ إلى من الذي أُعطي ، ولكني إنما أُعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزعِ والهلعَ ، وأَكِلُ أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، منهم عمرو بن تغلب**] قال عمرو بن تغلب : فوالله ما أحبُّ أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمر النعم !] (١) .

« رواه البخارى » .

وعن حكيم بن حرام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : [**اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ،**

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الجمعة « باب من قال فى الخطبة بعد الثناء : أما بعد » وفى الجهاد والتوحيد وغيرهما .

ومن يستغن يغنه الله] [١] « متفق عليه ، وهذا لفظ البخاري ، ولفظ مسلم أخصر » .

وعن أبي عبد الرحمن بن معاوية بن أبي سفيان صخر ابن حرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**لا تُلحفوا في المسألة ، فوالله لا يسألني أحدٌ منكم شيئاً فتخرج له مسألتُهُ مني شيئاً وأنا له كارهُ ، فيبارك له فيما أعطيته**] [٢] . « رواه مسلم » .

وعن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : [**ألا تبايعون رسول الله ﷺ ؟**] وكنا حديث عهد ببيعةٍ ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله . ثم قال : [**ألا تبايعون رسول الله ؟**] فبسطنا أيدينا وقُلنا : قد بايعناك يا رسول الله ،

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الزكاة « باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى » ومسلم فى الزكاة « باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى » .
(٢) الحديث رواه مسلم فى كتاب الزكاة « باب النهى عن المسألة » .

فعلام نُبايعك ؟ ، قال : [**أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات الخمس وتطيعوا الله**] ، وأسر كلمةً خفيفةً : [**ولا تسألوا الناس شيئاً**] ، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سواط أحدهم ، فما يسأل أحداً يناوله إياه] (١) . « رواه مسلم » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : [**لا تزال المسألة بأحدكم حتي يلقى الله تعالى وليس في وجهه مُزعة لحم**] (٢) . « متفق عليه » .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة : [**اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى ، واليد العليا هى المُنفقة ، والسفلى هى السائلة**] (٣) . « متفق عليه » .

---

(١) الحديث رواه مسلم فى الزكاة « باب كراهة المسألة للناس » .
(٢) الحديث رواه البخارى فى كتاب الزكاة « باب من سأل الناس تكثراً » ومسلم فى كتاب الزكاة «باب كراهة المسألة للناس » .
(٣) الحديث رواه البخارى فى الزكاة « باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى » ومسلم فى الزكاة « باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**من سأل الناس تكثراً فإنما يسأل جمراً ، فليستقل أو ليستكثر**] (١) . « رواه مسلم » .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن المسألة كَدٌّ ، يكُدُّ بها الرجل وجهه ، إلا أن يسأل الرجل سلطاناً أو في أمرٍ لابد منه**] (٢) . « رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح » .

« الكَدُّ » : الخدشُ ونحوه .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [**من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسد فاقتُهُ ، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**] (٣) . « رواه

---

(١) الحديث رواه مسلم فى الزكاة « باب كراهة المسألة للناس » .
(٢) الحديث رواه الترمذى فى الزكاة « باب ما جاء فى النهى عن المسألة » رقم ٦٨١ .
(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد « باب ما جاء فى الهم فى الدنيا » رقم ٢٣٢٧ وأبو داود فى كتاب الزكاة « باب الاستعفاف » .

أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن » .

« يُوشِكُ » : بكسر الشين : أي يُسرع .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**من تكفل لي ألا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له الجنة ؟**] فقلت: أنا ، فكان لا يسأل أحداً شيئاً] [1] . « رواه أبو داود بإسناد صحيح » .

وعن أبي بشر قبيصة بن المخارق رضي الله عنه قال : تحملت حمالة فأتيتُ رسول الله ﷺ أسأل فيها فقال : [**أقم حتى تأتينا الصدقةُ فنأمر لك بها**] ، **ثم قال** : [**ياقبيصة ، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثةٍ : رجل تحمل حمالةً ، فحلّت له المسألة حتى يصيبها ثم يُمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يُصيب قواماً من عيش ، أو قال : سِداداً من عيشٍ – ورجل أصابته**

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الزكاة « باب كراهية المسألة » .

فاقةٌ حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَى من قومه : لقد أصابت فُلاناً فاقةٌ ، فحلت له المسألة حتى يُصيب قِواماً من عيش – أو قال : سِداداً من عيش – فما سواهن من المسألة ، يا قبيصة ، سُحتٌ يأكُلها صاحِبُها سُحتاً] (١) . « رواه مسلم » .

« الحَمالةُ » بفتح الحاء : أن يقع قِتالٌ ونحوه بين فريقين فيصلح إنسانٌ بينهم على مال ، يتحمله ويلتزمه على نفسه . و« الجائحةُ » : الآفةُ تصيب مال الإنسان .و« القِوَامُ » بكسر القاف وفتحها : هو ما يقوم به أمر الإنسان من مال ونحوه . و « السدادُ » بكسر السين : ما يسُدُّ حاجةَ المعُوز ويكفيه . و« الفاقة » الفقرُ . و« الحِجَى » العقلُ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**ليس المسْكين الذي يطوف على الناس، ترده اللقمة**

(١) الحديث رواه مسلم في الزكاة « باب من تحل له المسألة » .

واللقمتان ، والتمرةُ والتّمرتانِ ، ولكن المِسكين الذي لا يجدُ غنى يُغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس][1] « متفق عليه » .

توضيح هام :

قد يمتحن المؤمنون بضيق العيش ويكون تكفيراً لذنوبهم ولرفع درجاتهم ، فلابد من الصبر والعمل بمعاني الإيمان ، قال الربيع بن خيثم : إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ، ومن آمن به هداه ، ومن أقرضه جازاه ، ومن وثق به نجاه ، ومن دعاه أجاب له ، وتصديق ذلك في كتاب الله ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ [التغابن : ١١] .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ .

[الطلاق : ٣] .

---

(١) الحديث رواه البخارى فى الزكاة « باب لا يسألون الناس إلحافاً » وفى التفسير ، ومسلم فى الزكاة «باب المسكين الذى لا يجد غنى ... » .

وقال تعالى : ﴿ إن تُقرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ ﴾ [التغابن : ١٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٠١] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وما مر بنا من زهد رسول الله ﷺ والصحابة من بعده ، هو أفضل الأحوال وأكملها ، وليس الزهد بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال كما قال أبو حازم ، وقد يمتلك الإنسان مالاً ويكون زاهداً كما قال الإمام أحمد رحمه الله .

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ [الأعراف : ٣١] .

ومتاع الغرور الذي ورد ذمه هو ما ألهى صاحبه عن طلب الآخرة ، وإلا فما لم يُهلك فهو متاع بلاغ إلى ما هو أبلغ منه ، وكان البعض يقول : نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن وذلك أنه عملاً قليلاً وأخذ زاده منها للجنة ، وبئست الدار كان للكافر والمنافق وذلك أنه ضيع لياليه وكان زاده منها إلى النار ، وقال آخر : كيف لا أحب دنيا قُدر لي فيها قوت اكتسب به حياة أدراك بها طاعة أنال بها الجنة ، فهيا بنا نعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله ونتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له ، ونعمر الدنيا بطاعة الله ، ونحذر مما حذرنا منه سبحانه ، ونجاهد أنفسنا في اللحاق بمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام لتحقيق غنى النفس وسعادة الدارين .

الخاتمة :

الكل مبتلى فاستقم كما أمرت

ابتلاء الله لعبده المؤمن رحمة منه له وإحسان إليه ، وما يصيب المؤمن دون ما يصيب الكافر ، فالكل مبتلى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف : ٧] ، والإبتلاءات متنوعة وصورها متعددة ، والناس يتفاوتون في ذلك تبعاً لإيمانهم ، فأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل [١] ، ويبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان به صلابه زيد له في البلاء [٢] ، وما يصيب المؤمن مقرون بالصبر والرضا والاحتساب ، وذلك يخفف عنه ثقل البلاء ومؤنته ، بعكس الكافر فإن صبر فكصبر البهائم ، والعاقبة

(١) صحيح الجامع « ٩٩٢ » .
(١) صحيح الجامع « ٩٩٤ » .

للمتقين ، وقد اقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن يكون البلاء أمراً لازماً ، فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر كما يقول ابن القيم: والنفع عن الضر ، واللذة عن الألم ، لكان ذلك عالماً غير هذا ، ونشأة أخرى غير هذه النشأة ، وكانت تفوت الحكمة التي مزيج لأجلها بين الخير والشر والألم واللذة والنافع والضار ، إنما يكون تخليص هذا من هذا ، وتمييزه في دار أخرى غير هذه الدار ، كما قال تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) ﴾ [الأنفال : ٣٧] .

ومن حكم الإبتلاء استخرج عبوديتهم وذلهم لله ، وانكسارهم له ، وافتقارهم إليه وسؤاله سبحانه ، كما أنه يحب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء ، وفي حالة العافية والبلاء ، ولا يستقيم القلب بدون ذلك ،

ثم هذا الابتلاء يمحصهم ويخلصهم ويهذبهم ، فلا يظن ظان أن دخول الجنة يكون بغير جهاد ولا صبر، قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

ولا بد من امتحان المؤمن والكافر ، فأما المؤمن الصادق فيزداد بالابتلاء والإمتحان إيماناً على إيمانه ، وهذا لا يجعله يتمنى البلاء ، بل هو يسأل الله العافية ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

فلابد من حصول الألم والمحنة لكل نفس آمنت أو كفرت ، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتلاءً ، ثم

تكون له عاقبة الدنيا والآخرة ، والكافر والمنافق والفاجر ، تحصل له اللذة والنعيم ابتداءً ثم يصير إلى الألم ، فلا يطمع أحد أن يخلص من المحنة والألم البتة .

وإذا كان الابتلاء واقعاً وحاصلاً ، فلابد من الإيمان في مواجهته والاعتصام بجناب الله فلا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه ، قال تعالى :﴿ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٧) ﴾ [الأحزاب : ١٧] .

يقول ابن القيم : فأخبر سبحانه أن العبد لا يعصمه أحد من الله ، إن أراد به سوءاً غير الموت الذين فر منه ، فإنه فر من الموت لما كان يسؤوه ، فأخبر الله سبحانه أنه لو أراد به سوءاً غيره لم يعصمه أحد من الله ، وأنه قد يفر مما يسؤوه من القتلى في سبيل الله فيقع فيما يسؤوه مما هو أعظم منه .

وإذا كان هذا في مصيبة النفس ، فالأمر هكذا في مصيبة المال والعرض والبدن ، فإن من بخل بماله أن ينفقه في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته ، سلبه الله إياه ، أو قيض له إنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أخرى ، بل فيما يعود عليه بمضرته عاجلاً وآجلاً ، وإن حبسه وادخره منعه التمتع به ، ونقله إلى غيره ، فيكون له مهنؤه وعلى مخلفه وزره ، وكذلك من رفّه بدنه وعرضه وآثر راحته على التعب لله وفي سبيله أتعبه الله سبحانه وتعالى أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته ، وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب .

قال أبو حازم : « لما يلقى الذي لا يتقي الله في معالجة الخلق أعظم مما يلقى الذي يتقى الله من معالجة التقوى » .

واعتبر ذلك بحال إبليس ، فإنه امتنع من السجود لآدم فراراً أن يخضع له ، ويذل ، وطلب إعزاز نفسه ، فصيره الله

أذل الأذلين ، وجعله خادماً لأهل الفسوق والفجور من ذريته فلم يرض بالسجود له ، ورضى أن يخدم هو وبنوه فُسّاق ذريته .

وكذلك عُبّاد الأصنام، اتقوا أن يتبعوا رسلاً من البشر ، وأن يعبدوا إلهاً واحداً سبحانه ، ورضوا أن يعبدوا آلهة من الأحجار .

وكذلك كل من امتنع أن يذل لله ، أو يذل ماله في مرضاته ، أو يتعب نفسه وبدنه في طاعته لابد أن يذل لمن لا يسوى ، ويبذل له ماله ، ويتعب نفسه وبدنه في طاعته ومرضاته عقوبة له ، كما قال بعض السلف : من امتنع أن يمشي مع أخيه خطوات في حاجته أمشاه الله تعالى أكثر منها في غير طاعته . أ . هـ .

فاعتبر أخي المسلم بهذه النصيحة ، واطلب الرزق بعزة النفس ودون التفريط في طاعة الله ، فكما قيل لك

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ﴾ [الملك : ١٥] .

أيضاً قيل لك : ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) ﴾ [النساء : ١٠٢] .

وقال سبحانه : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) ﴾ [البقرة : ٢٣٨] .

أي مطيعين منيبين ، واعلم أن الأرزاق مقسومة والأنفاس محسوبة ، وأن المال يؤخذ منك كله وتُسأله عنه كله ، فخذ بالأسباب وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده ، واحذر أن تكون من انشغل بالدنيا عن الدين ، وقدِّم لنفسك عملاً صالحاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

نفعنا الله وإياكم بالقرآن العظيم ، وبهدي سيد المرسلين ، وجعل خير أعمالنا أواخرها وخير أعمالنا

خواتيمها ، وخير أيامنا يوم نلقاه ، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه ، وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

بقلم
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

فهرس

رقم الصفحة

العصرية للطباعة
فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠١٩٠٠٠٣٨٠